منهج فرانشيسكو جابريلى فى كتابة السيرة النبوية الشريفة

دراسة نقدية حول كتابه "محمد والفتوحات الإسلامية"

إكرام الحق ياسين*

قال الدكتور عبد العظيم محمود الديب" :تقدّر الأبحاث والكتب التى كتبها المستشرقون عن الإسلام، فى الفترة من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين، بنحو من ستين ألف كتاب "....وكان من بين الموضوعات التى ذكر تأليفهم فيها :تاريخ الإسلام، وعقائده، ومذاهبه، وفقهه، وسيرة نبيه ..الخ (١)

ولقد كان هؤلاء المستشرقون من ذوى أصول مختلفة و خلفيات ثقافية عديدة ,يهمنا منهم الإيطاليون ,بمناسبة هذالمقال .وقد اعتبر نجيب العقيقى المدرسة الاستشراقية الإيطالية على رأس هذه المدارس قاطبة فقال":لا بد من البدء فى إيطاليا ,ذلك أنها مهد الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا، فقد كان البابوات هم الذين وَجّهوا إلى دراسة اللغة العربية، ومن هُنا صدر القرار البابوى بإنشاء ستة كراسٍ لتعليم اللغة العربية فى باريس ونابولى وسالونيكا وغيرها، وقد تعاون مجموعة من نصارَى الشام مع الكنيسة الكاثوليكية لنشر الديانة الكاثوليكية فى المشرق، وقد بدأ هذا التعاون باتحاد الكنيستين المارونية والكاثوليكية عام١٧٧٥م، وقام المارونيون بترجمة العديد من كتب اللاهوت إلى اللغة العربية ."ثم ذكر استمرار اهتمام إيطاليا بالعالم الإسلامى وظهور المستشرقين فى مجالات مختلفة(٢) .ولقد ذُكر ارتباطُ إيطاليا بالشرق تاريخيا منذ عدة قرون ,ثم بدأ اهتمامُ جامعاتها بالدراسات العربية والإسلامية بعد منتصف القرن الحادى عشر الميلادى بقليل .فكان من بين الجامعات الإيطالية التى عنيت بالعلوم الإسلامية والثقافة الشرقية :جامعة بولونيا، وجامعة نابولى ، وجامعة سينا، وجامعة روما، وجامعة فلورنسا، وجامعة بادوى، والجامعة الغريغورية(٣) .وكان أوّل إيطالى تعلم اللغة العربية وعُنى بدراستها، قيل هو :جيرارد داكريمونا١١٨٧-١١١٤م) ,(ثم جاء بعده

---

* أستاذ مساعد بأكاديمية الشريعة،الجامعة الإسلامية العالمية ,إسلام آباد،باكستان

عدد لا يستهان به من المستشرقين الإيطاليين فى القرون الموالية .(٤)

اهتمام الإيطاليين بالسيرة النبوية

وكان فيمن اهتم منهم بكتابة السيرة النبوية الشريفة :الأمير ليونى كايتانى(Leone Caetani ١٩٢٦-١٨٦٩م) الذى ورث ثروة طائلة ,فصرفها كلها على جمع المخطوطات العربية، وكتب فى التاريخ الإسلامى(حوليات الإسلام -عشر مجلدات) مما جعل إيطاليا تعتبره هرماً من أهرامها الشامخة ,وله أيضا حياة محمد (ميلانو١٩١٤) , ومنهم ليفى ديللافيدا(١٩٦٧-١٨٨٦) صاحب دراسة حديثة عن الرسول وأصل الإسلام١٩٢٣م) والذى كان يعد حجة فى التاريخ الإسلامى , فأنشأت جامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس جائزة باسمه ,تمنح سنوياً للمبرَّزين فى تخصص التاريخ الإسلامى والعربى .ومنهم كارلو نللينو،(١٩٣٨-١٨٧٢) "Carlo Alfoso Nallino"أستاذ الدكتور طه حسين فى الجامعة المصرية ,وأستاذ اللغة العربية فى المعهد العلمى الشرقى بنابولى ثم بجامعة بالرمو، ثم أستاذاً للتاريخ والدراسات الإسلامية فى جامعة روما ,مؤلف كتاب حياة محمد(روما١٩٤٩)(٥) . ومنهم جويدى ميكلانجو١٩٤٦-١٨٨٦م) صاحب تاريخ العرب وثقافتهم ١٩٥١ء) والجزء الأول منه فى السيرة)، جابرييلى فرانشيسكو١٩٩٧-١٩٠٤) صاحب كتاب محمد و الفتوحات الإسلامية ,وانساباتو انريكو صاحب كتاب محمد والإسلام الحديث١٩٣٠م). (٦)

تعريف بالمؤلف

جابرييلى فرانشيسكو Gabrieli Francesco (١٩٩٧-١٩٠٤) وقد ينطق ,فرانسيسكو غابريلى ,مستشرق ومستعرب إيطالى,كان مهمتاً باللغة العربية وآدابها حتى عيّن كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها بجامعة روما ,ومدير معهد الدراسات الإسلامية بها .عرف بدراسته للأدب العربى وتحقيقه فى التاريخ الإسلامى .انتخب عضواً مراسلاً فى المجمع العلمى العربى بدمشق عام١٩٤٨ يَرى سمير القريوتى أن فرانسيسكو اشتهر بمواقفه المعتدلة من التاريخ الإسلامى حتى إنه كتب عن صلاح الدين الأيوبى بوصفه بطلاً وشخصية عظيمة(٧)بالرغم مما تعرضت له شخصيته من تشويه فى الكتابات الغربية(٨) إلا أنه يؤمن بالاستشراق ويدافع عنه ويرجو من المفكرين العرب أن يتبنوا الطرق المنهجية فى البحث العلمى.يقول فرانسيسكو" :من الخطأ والمغالطة أن نؤكّد أن الباعث الوحيد والأساسى لاهتمام أوروبا بالعالم الشرقى من النواحى التاريخية واللغوية والأدبية والدينية كان مرتبطاً

بالمخططات السياسية والاقتصادية للاستعمار ."وعلى الرغم من أنى ابن هذا الغرب ومرتبط بحضارته بكل حواسى ومشاعرى إلا أنى كنت دائماً أشعر بمدى عظمة هذه الحضارة العربية الإسلامية، ومدى شرفها وكرامتها بصفتها إحدى المكونات الشرقية لتاريخ البشرية(٩) .له عدة كتب عن الإسلام منها:

١- " التاريخ والحضارة الإسلامية١٩٤٧ "

٢- " محمد "صدر عام١٩٦٥ (١٠)

٣- المؤرخون العرب الذين كتبوا عن الحروب الصليبية (Arab Historians of the Crusades).

٤- محمد والفتوحات الإسلامية .((Muhammad and the Conquests of Islam

٥- النهضة العربية (The Arab Revival)

٦- تاريخ الأدب العربى ((Storia della letteratura araba

٧- العرب (Gli Arabi)

٨- العرب فى إيطاليا :الثقافة ، والعلاقات والتقاليد (Gli Arabi in Italia: cultura, contatti e tradizioni)

٩- Novelists Egyptian anthology editedمختارات من الرواية المصرية

١٠- الرحالة العرب و رحلاتهم (Viaggi e viaggiatori arabi)

١١- جوانب من الحضارة العربية الإسلامية (Aspetti della civilt arabo-islamica)

١٢- ألف ليلة وليلة -- .النسخة الكاملة من اللغة العربية(- Le mille e una notte. Versione integrale dall'arabo)

١٣- الأدب العربى (La letteratura araba)

١٤- المواسم العربية الأولى ـ والعظيمة(I primi arabi - Le grandi stagioni)

١٥- إفريقيا الشمالية العربية الإسلامية فى العصور الوسطى :المغرب العظيم:المغرب -مواسم عظيمة - Il Medioevo arabo e islamico dell'Africa del Nord: Maghreb . Le grandi stagioni

١٦- مختارات من الأدب العربى(Antologia della letteratura araba)

١٧- ألف ليلة وليلة) Le mille e una notte 2) 2

١٨- ضوء جديد على دانتى والإسلام .(١١)

تكريماته

حاز جابرييلى على جائزة بالزان للدراسات الشرقية(for Oriental Studies Balzan Prize) عام ١٩٨٣ وذلك اعترافا لاسهاماته الكبيرة فى المعرفة حول العالم الإسلامى ,نتيجة دراسته وتحقيقه للشعر العربى بدء من العصر الجاهلى إلى أدب العصر الحاضر ,ومن ناحية أخرى بدء من تاريخ الخلافة إلى النهضة العربية الحديثة .وقد اختار لهذا البحث أسلوبا منهجيا جديدا (new methodological approach), نجح من خلاله فى الحصول على نتائج حقيقية و أصيلة(١٢) . كما أنه حاز على جائزة "جيورجيو ليوى ديلا فيدا(Giorgio Levi Della Vida Award")" لعام١٩٧١-(١٣)

وبعد أن انتهينا من التعريف بالمؤلف نأتى لوصف الكتاب من الناحية الشكلية ,ثم الموضوعية ,ثم المنهجية .وأخيرا نحاول نقل آراء بعض الكتاب حوله ,والتفصيل كما يلى:

أ- الوصف الشكلى للكتاب

ألفه المؤلف بالإيطالية بعنوان (Maometto e le grandi conquist e arabe) (١٤), فترجمه إلى الإنجليزية فرجينيا لولينج (Virginia Luling) و روزاموند لينيلل (Rosamund Linell) بعنوان ,Muhammad and the Conquests Of Islam :فترجمنا العنوان باللغة العربية" :محمد والفتوحات الإسلامية ."نشر بالإيطالية للمرة الأولى عام ١٩٦٧، ونشرت الترجمة الإنجليزية فى سنة١٩٦٨م ,باهتمام من جورج ويدنفيلد و نكلسون المحدود لندن(١٥) .وقد استخدمنا لهذا البحث الطبعة المعادة فى عام ١٩٧٧عن طريق التصوير باهتمام من مطابع باس (BAS) المحدودة ,ميلانو ,إيطاليا .والكتاب من ضمن سلسلة النشر مكتبة الجامعة العالمية (World University Library- WUL), والسعر المطبوع على الكتاب ٢.٥٠جنيها استرلينيا ,فى داخل المملكة المتحدة .هذه الطبعة الإنجليزية عبارة عن٢٥٣صفحة ,مع عشرين صورة ورسما ملونا , وعشرين أخرى أسود أبيض ,بالإضافة إلى خمس خرائط ملونة.واجهته عبارة عن صورة مجاهد مسلم

راكب على فرسه مع حذره من الخوذة والدرع ,و أسلحته من السيف والسهام ,مع مقاتلين آخرين رجالا وركبانا ,وقد اعتبر الناشر هذه الصورة للابس أسلحة حديدية من إسكندر ,كما ذكره فى صفحة العنوان الخلفية التى هى عبارة عن بيان موجز لموضوع الكتاب و منهج المؤلف فيه ,والخلفية التاريخة للفتوحات الإسلامية ,وبآخر الكتاب كشف بالمراجع والمصادر وملحق للفهارس الفنية مرتبة ألفبائيا .

ب- موضوع الكتاب ونقطته المركزية

موضوعه حسب عنوانه" :شخص محمد صلى الله عليه وسلم ,والفتوحات الإسلامية , "وأما لو تكلمنا عن نقطة تركيز المؤلف ,فهى البحث عن السر الكامن وراء الفتوحات المحيرة للعقول التى حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه ,والتى وسعت رقعة دولة الإسلام من سمرقند إلى طليطلة فى أقل من مأية سنة .(١٦)

ت-الخطة الرئيسة لبحث المؤلف

قسم المؤلف كتابه إلى قسمين رئيسين ,الأول منهما فى عرض تغيرات داخلية مرت بها الدولة الإسلامية فى مائة وعشرين عاما بعد وفاة النبى صلى الله عليه و سلم .ويحتوى هذا القسم على خمسة أبواب من الكتاب .ويشتمل القسم الثانى على ستة أبواب ,لتغطى بيان التوسع فى الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية(١٧)وبذلك يصبح مجموع أبواب الكتاب أحد عشر بابا ,يختمها الباب الثانى عشر فى الإنجازات الإسلامية العربية .ويلى الأبواب ذكرمراجع الكتاب ,ثم تأتى الفهارس الفنية- وفيما يلى أهم عناوينه:

محمد فى التاريخ ,الجزيرة العربية قبل محمد ,محمد فى مكة ,سلطانه على المدينة,الإسلام والدولة العربية الإسلامية,تشكيل الإمبراطورية,الفتوحات الشرقية: العراق و فارس,الفتوحات الشمالية :سوريا و بلاد الرافدين(١٨) وأرمينيا ,الفتوحات الغربية :مصر ,وإفريقيا الشمالية,الإسلام فى أوروبا,الحدود تجاه الشرق ,إنجازات الإسلام العربى,المصادر والمراجع,الشكر والامتنان,الفهارس الفنية

وأما الخرائط فهى كما يلى:

خريطة التقسيم العرقى للجزيرة العربية ,الجزيرة العربية ,فتوحات أوائل القرن

السابع,إفريقيا و أوروبا الغربية,التوسع فى العصر الأموى.

ث- ملخص الكتاب كما يراه الناشر

كان رأى الناشر فى الكتاب بالطبع دعاية له تحسينا لمحتوياته و تبجيلا لمؤلفه ,فقلما يضاهيه فى رأى الناشر مؤلف فى حسن تأليفه وجودة تنسيقه و إنصافه كمحقق ومؤلف .إلا أننا عند ما رجعنا إلى مضمون الكتاب وجدناه عكس ذلك فحاولنا مدحه على ما أحسن فيه ونقده فيما تحول فيه عن مسار الصواب ,بل وخرج كتابه بلا قيمة علمية كما سيراه قراؤنا الكرام من خلال هذا المقال, وفيما يلى ملخص لكلمة الناشر ,قال :

"لم يستسغ علماء التاريخ أبدا التعبير عن السلسلة المحيّرة للعقول من الفتوحات التى رسمت ملامح سيادة محمد وخلفائه ,والتى وسعت حدود الإسلام من سمرقند إلى طليطلة فى أقل من مأية سنة .ومن ناحية أخرى كان بمحاذاته عدم وُضوح رأى التاريخ عن شخص النبى ,إذ كان غالبا ما مشوها بالعداء والكراهية .ولقد ظل آلة شيطانية للفُرقة والشقاق لدى المؤرخين البيزنطيين الأوائل ,و دعى نبيا كاذبا فى العصور الوسطى اللاتينية ,و كذلك هرقطيا مبتدعا ,كما صوره دانتى فى "الجحيم .(Inferno)"ولم يحدث ظهور التفكير المنطقى إلى القرن الثامن عشر ,رغم ظهور الترجمات القرآنية ,و الاهتمام بالتنوير فى الديانات غير المسيحية ,وأساليب الفكر الشامل .وكان الأمر كذلك حتى جاء ت الدراسات الجادة التى أجراها كارلايل و سبرنجر وآخرون فى القرن التاسع عشر ,فوضعوا حجر أساس التقييم الهادف فى ضوء الحقائق التاريخية ,وكانت قد باتت ممكنة إلى ذلك الوقت .

وتجدر الإشارة إلى انهيار الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية كسبب رئيس للانتصارات العسكرية .والسبب الحتمى الآخر كان البوتقة العرقية (١٩)فى الشرق الأدنى ,حيث كان الولاء العربى المجتمع واضحا فيه من الناحيتين(فكانت النتيجة أن انهزمت القوات البيزنطية التابعة لهرقل انهزاما نهائيا فى عام ٦٣٦م .(و من ناحية أخرى كان التحمس الدعوى لأتباع محمد ,وهو الذى منح قوة محركة لمن كانوا فى الأصل بدوا ,لا يتجاوز هدفهم من الغزو خبزا وتمرا .قد قام الأستاذ جابرييلى بدراسة هذه العناصر كلها ليأتى بتقييم من عنده فى ضوء مناهج البحث الحديثة.

والأستاذ جابرييلى يعمل أستاذا للغة العربية فى معهد الدراسات الإسلامية بجامعة روما.

الصورة فى صفحة العنوان لشخص يلبس الحديد من الإسكندر(٢٠) وقد تم إعادة عرضها بلطف من متحف فوج(Fogg) للفن بهارفارد .والكتاب يحوى عشرين صورة ملونة ,وعشرين أخرى من نوع أسود أبيض ,مع خمس خرائط ملونة(٢١)

ج- عرض موضوعى لمضمون الكتاب

يحتوى هذا العرض على ملخص موضوعى لكل باب .وبعد ذلك سوف نأتى بوصف منهج المؤلف عرضا وتحليلا ونقدا ,ثم الملاحظات العامة حول منهجه ختاما للبحث إن شاء الله ,إلا أنّ التركيز سوف يكون بإذن الله على الجزء الذى يتعلق بالسيرة النبوية الشريفة مباشرة ,دون الخوض فى تفاصيل الفتوحات ومناقشة تحليل المؤلف لها ,تفاديا التطويل والتنحى عن الموضوع.

وَبما أنّ ذات النبى صلّى الله عليه وسلّم كانت النقطة المركزية لدراسة الفتوحات الإسلامية عند المؤلف ,فلذا بدأ بعرض شخصيته عليه السلام تحت عنوان "محمد فى التاريخ "حيث أعطى صورة موجزة عنه كما يراه الناس من فئات مختلفة ,فوزع بيان هذا الموضوع فى ثلاث فئات :الفئة الأولى نظرة المسلمين إليه .و الفئة الثانية رأى مسيحى القرون الوسطى ,فى حين أنه خصص الفئة الثالثة للدراسات المعاصرة حول نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم تحت عنوان ":إعادة تقييم محمد," فأطال الكلام فيه وأطنب البحث ,ونقل أسماء كثير من المؤلفين المستشرقين مع تلخيص ما استنتجه من دراسة كل منهم .ثم أجرى موازنة استنتاجية حاول من خلالها البحث عن حقيقة محمد صى الله عليه وسلم ,وعن حقيقة الإسلام معترفا ببعض الحقائق التى يؤمن بها المسلمون ,ومنتقدا البعض الآخر .وتتلخص نتيجة دراسته فى أنه :مهما كانت حقيقة أمر الإسلام ونبيه إلا أنه استطاع بجدارة أن يديم نفسه خالدا فى تاريخ العالم بسبب حركته التى قادها ,وأنقذ بها العرب أولا مما كانوا فيه ,ثم نجح بعد ذلك أن يغيّر منظر العالم كله .ولعل هذا المبحث كان أهم ما فى كتابه حول شخصية النبى صلى الله عليه وسلم .ويمكننا تلخيص آراء الفئات الثلاثة فى نظر المؤلف كمايلى:

أ- فى المجتمع الشرقى ,يعنى فى بيئته الخاصة مر مؤسس الإسلام من عملية المثالية ,وهذا الشيء فى تظاهره المتطرف أدى إلى تحويل وصف شخصيته تاريخيا إلى أبعد الحدود.

ب- وفى الغرب مرت شخصيته من عملية تحول مختلف عنه فى الفترة المبكرة ,يعنى بذلك

العداء والتكذيب ,واتهامه بالافتراء والكذب.

ت- وهذا التحويل نفسه ظهر لدى مسيحية العصور الوسطى فى الموقف الدفاعى والجدلى الذى لم يكن أقل انحيازا وبعدا عن الواقع.

ث- ظهرت فى العصر الحديث وجهات نظر أكثر هدفية و مو ضوعية حول شخصية محمد.

ج- حتى فى العصر الحديث يبدو التحامل القديم و العداء المنفعل فعّالين أحيانا من وراء سِتر التنقية الفنية و باسم التأكد عن الموضوعية ,و تكون هذه الحالة غالبا ما منضمة مع حالة جديدة من الحقد والعداء .

فوضع المؤلف نصب عينه معالجة هذه الفئات الثلاث من الآراء فى نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم فقال:

"إن المقصود من كتابة الصفحات التالية إعطاء فكرة عن هذه التيارات الثلاثة ,أعنى: الأساطير الملتوية ,والرؤية الشرقية والغربية ,و النظرة التاريخية الحديثة ,من حيث نشأتها و تطورها و أشكالها الرئيسة."

ثم وصف المجتمع الذى عاش فيه النبى صلى الله عليه وسلم تحت عنوان "الجزيرة العربية قبل محمد , "فعبّر عن سبب عقد هذا العنوان بقوله " :ومن غير الممكن التعامل مع محمد و إنجازاته بدون معرفة مسبقة حول الأرض التى ولد فيها ,والناس الذين عاش بينهم ,والمجتمع والتقاليد التى أقام فيه ثورة جزئية أو غيّر جزء ا منها من جذوره ,فى حين أنه ثبّت جزء ا منها على حاله .وبناء على ذلك كان من اللازم ـــ حين التعريف بالنبى العربى ,وفتوحات قومه و ديانته ـــ إلقاء النظرة على ميزات الجزيرة العربية وأيامها قبل الإسلام(٢٢) و نكتفى هنا بذكر العناوين التى ذكرها فى هذا الباب لدراسة البيئة العربية .فكان من بينها:النظام القبلى و الخلفية التاريخية , "و "الأعراف التاريخية "وذكر تحته مصادر التاريخ العربى بما فيها المؤلفات الإغريقية و السورية ,ثم عدّ من المصادر المحلية التقاليدَ والأعرافَ التاريخية ,والشعرَ الجاهلى ,ثم بعد ذلك كان القرآن نفسه مصدرا مهما له(٢٣) . وكان العنوان الذى بعه " :التراث الحضارى للعربية الوثنية(٢٤) , "ثم "الوثنية و اليهودية و المسيحية."(٢٥)

ثم جاء إلى ذكر حياة محمد صلى الله عليه وسلم تاريخيا ,فبدأ بعنوان "محمد فى مكة"

وغطى تحته ذكر أسرة النبى صلى الله عليه وسلم و ذكر شخصه عليه السلام من المولد النبوى الشريف لغاية الهجرة إلى المدينة المنورة ,فنقد فيها الأحداث التى ظهرت قبل مولده عليه السلام, وتكلم عن الآيات المكّية بالتفصيل(٢٦) .ثم نراه يغير التعبير فيسمى وجود النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة بـ"سلطانه على المدينة ,"وإذا بحثنا عن خياله المركزى فى هذا الباب نجده فى قوله ":العصر المدنى هو عصر الرقى التدرجى والانتصار النهائى الكامل للرسالة المحمدية ,والذى لم يتمكن من التغلب على المعارضة المشركة فى مدينته الأصلية ,رغم كفاحه المتواصل لأكثر من عشر سنوات."(٢٧) ومن أهم العناوين الفرعية التى عقدها فى هذا الباب "الهجوم المعاكس من مكة(٢٨) و "فتوحات محمد الأخيرة ووفاته. "(٢٩)

ويمكننا القول بأن المؤلف إلى هنا انتهى من الكلام حول شخصية النبى صلى الله عليه وسلم ,فأتى بعد ذلك إلى البحث فى الدولة الإسلامية و فتوحاتها ,وذلك بدء من الباب الخامس تحت عنوان" :الإسلام والدولة العربية الإسلامية "وحاول فيه دراسة الإسلام نفسه ,وتقييمه الداخلى من قبل متبعيه و أثر العقيدة فى تأسيس الدولة الإسلامية(٣٠) .و كان من أهم عناوينه الفرعية فى ذلك: "الخلافة الوريثة(٣١) و"القرن الأموى . "(٣٢)

وإلى هنا انتهى القسم الأول من الكتاب كما ذكره فى نهاية الباب الخامس,ويجدر بنا إلقاء نظرة على ملخص استنتاج المؤلف من دراسته إلى هنا ,وفيما يلى ترجمة ما قاله " :هذا الرسم الموجز لتاريخ الجالية المسلمة ,لا يتجاوز كونه محاولة لوصف شكل أساسى من تغيرات داخلية مرت بها الدولة الإسلامية فى مائة وعشرين عاما بعد وفاة نبيّها و مؤسسها .وعلى كل حال فإنّ الإنجاز الأكثر لفتا للإنتباه فى أعمال محمد فى حياته,حسب أعراف التاريخ العالمى ,هو توسعها فى الفتوحات التى يتشكل منها موضوع الأبواب القادمة.(٣٣)

ومن الباب السادس يبدأ القسم الثانى من الكتاب ,والذى أشار إليه المؤلف بقوله ":وعلى كل حال فإنّ الإنجاز الأكثر لفتا للإنتباه فى أعمال محمد فى حياته ,هو توسعها فى الفتوحات التى يتركب منها موضوع الأبواب القادمة "كما مرّ آنفا ,وقد قصد بذلك الفتوحات التى تمت للمسلمين خارج الجزيرة العربية ,فكان فى عرض ذلك محللا و ناقدا أكثر من أن يكون مسرّدا و مؤرّخا .ونرى موضوع القسم الثانى واضحا من عنوان هذا الباب ,وهو" :تشكيل الإمبراطورية "و يحتوى على ثلاث

مباحث ,أسمَى أولَها " :مصادفة أم رسم مخطط(٣٤) وناقش فيه فلسفة التقدم والتوسع إلى خارج جزيرة العرب ,مما إذا كان المسلمون يعتبرون التقدم للفتوحات وظيفة دينية ,وهل كان النبى صلى الله عليه وسلم هوالذى دعا المؤمنين إلى التوسع خارج المناطق العربية ,أم لم يكن ذلك من الدين فى شيء ,فذكر فى ذلك فريقين من الناس ,فئة ترى أنّ الدين الإسلامى جاء للعالم كله ,والنبى صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كافة الناس ,وقد جعله الله رحمة للعالمين .وهذه وجهة نظر معظم المفكرين المسلمين و آخرين من غير المسلمين ,والفريق الثانى يرى أنّ نبى الإسلام لم يرد من تبليغ الإ سلام إلا بنى قومه ,ولقد كان نبيا عربيا ,بعث إلى العرب .ومن بين هؤلاء الأمير ليونى كايتانى الإيطالى(٣٥) وآخرون ,فكان استنتاج المؤلف من كلا الرأيين كما يلى" :وبما أنّ النبى غادر المنظر من دون أن يعطى قومه أية إرشادات للمستقبل ,فلذلك قد أخرجنا من الإمكان أىّ برنامج واضح من ناحيته. ويبقى الإمكان بأن تكون الفتوحات خارج العرب نتيجة لبعض التأويلات أو استمرارا لبعض وصاياه, ويكون العرب الحديثو العهد بالإسلام أوّلوها بنشر الدين خارج المنطقة. "(٣٦) ويأتى بعد ذلك عنوان فرعى آخر"البواعث المادية على التوسع "ليبحث فيه المؤلف إمكان حوافز الفتوحات خارج الإطار الدينى كما هو واضح من العنوان .قال المؤلف " :وبالتأكيد فإنّ معظم معمارى الإمبراطورية من العرب لم ينظروا إلى أنفسهم كمبلغين أو دعاة ,بل هم كانوا مجرد فاتحين واستغلاليين فِعليين لكل ما استولوا عليه بالفتح .ويمكن أن تكون للبواعث الدينية بعض الأهمية لديهم إلا أنها لم تكن النابض الحقيقى أو الزُّنبرُك الرئيس (Main spring) فى رحلاتهم المسلحة .ويجدر بنا الآن دراسة البواعث الأخرى التى يراها المؤرخون المعاصرون أكثر إقناعا .ويمكن تلخيصها فى :الحاجة إلى المطعم ,والمرعى ,والغنيمة ــ حاجات تستمر مدى الحياة التى لطالما كانت تنخس البدو لترك شدائد حياتهم ,بحثا عن دار فى مكان أفضل من صحرائهم ,ومحاولة لفتح أكبرِ قدرٍ ممكن من الأراضى الخصبة ,والتمكن منها ,لأجل إنتاج غلة أجود لأنفسهم و لماشيتهم .ويرتبط هذا الباعث الإقتصادى ارتباطا وثيقا مع مشكلة المناخ لديهم. "(٣٧) تلك هى النقطة الرئيسة التى تدور حولها مباحث الأبواب السابقة من الكتاب ,وبالأسلوب نفسه الذى رسمه المؤلف لنفسه فى هذه الفقرة .المبحث الأخير من مباحث هذا الباب يأتى بعنوان ":المعنوية و الخطة الحربية ,"ومضمونه يتلخص فى الاقتباس التالى" :لعل أحد أصعب النقاط و أشدها إثارة فى مشكلة التوسعات العربية كانت العسكرية الخالصة.

وبعد أن انتهينا من تحليل الحافزَين :المادى والفكرى ـ المتمثلَين فى الغنيمة و الجهاد ـ الذين أحدثا شرارات الفتوحات ,نقول :إنّ جميع الفتوحات الكاسحة الشاملة سرّا مازالت تحتاج إلى مزيد من التوضيح.(٣٨) و تكلم المؤلف فى هذا المبحث عن أسباب المعنويات المرتفعة للجيوش العربية فى جميع المعارك مهما كان حجمها ,وتكلم أيضا عن أساليب حكمهم ووضع الذميين فى الدولة الإسلامية .ثم أتى فى الأبواب ما بين السابع و الحادى عشر لكى يناقش فتح كل منطقة لوحده ,إلا أنّ كلامه عن حوافز تلك الفتوحات لا يختلف كثيرا عما ذكرناه آنفا ,وسوف نكتفى بذكر العناوين الرئيسة والفرعية تفاديا للتطويل .فعنوان الباب السابع" :الفتوحات الشرقية :العراق و فارس , "وعناوينه الفرعية" :هزيمة الفرس فى القادسية(٣٩) و "الانتصار الكامل على فارس(٤٠) و "تعريب فارس"(٤١) وعنوان الباب الثامن" :الفتوحات الشمالية :سوريا و بلاد الرافدين وأرمينيا(٤٢)وله عنوان فرعى واحد" :التقدم إلى القوقاز(٤٣)وعنوان الباب التاسع" :الفتوحات الغربية :مصر ,وإفريقيا الشمالية(٤٤) , "وعناوينه الفرعية "ركوب عقبة إلى المحيط الأطلنطى(٤٥)إفريقيا الشمالية :منطلقا متقدما للإسلام(٤٦)والباب العاشر" :الإسلام فى أوروبا :هسبانيا ,وفرنسا ,وإيطاليا(٤٧) وعناوينه الفرعية "فرنسا ,وإيطاليا ,وصقليا(٤٨)التراث الإسلامى فى أوروبا(٤٩) والباب الحادى عشر: "الحدود إلى الشرق(٥٠)وليس له عناوين فرعية إلا أنّ المؤلف تناول فيه بالبحث فتوحات المناطق الشرقية من آسيا الوسطى ,والهند ومناطق أخرى ,مع فتوحات فى خراسان وما جاورها .

ويمكننا أن نعتبر الباب الثانى عشر مجموعة لنتائج بحث المؤلف التى لخصها تحت عنوان: "إنجازات الإسلام العربى(٥١) نحاول هنا رسم صورة موجزة لما أورده ,بمساعدة اقتباسات من هذا الكتاب .قال المؤلف فى أول الباب " :كان تأسيس الإمبراطورية العربية قطيفة بضع عشرات من السنوات ,وقد حصل هذا الإنجاز بمحض جرأة العرب و مبادراتهم الإقدامية ,وتلهّفهم للغنيمة, وإيمانهم بأنهم كانوا يمتثلون بذلك أمر الله ,وصلاحيتهم بالتكييف مع الظروف وتسوية الأمور ,وزد على ذلك ما كان يتمتع به بعض قوّادهم من المهارة العسكرية و السياسية .إلا أنّ هيكل إمبراطوريتهم لم يدم أكثر من بعض العشرات من السنوات .فُقِدت وحدتها فى أواسط القرن الثامن ,وحل محلها مجموعة من الدويلات ,عربية و غير عربية ,غير أنها ظلت تدور حول مركز الخلافة فى الشرق لبعض آخر من القرون .وخلال هذه الفترة ظلت اللغة العربية هى الرابط المشترك بين الدويلات الحديثة التى

كانت نشأت في المناطق التى خضعت للفتوحات ذات مرة .ويمكن اعتبار هذا العصر أيضا من التاريخ الإسلامى ,حيث ظلت دول إسلامية كبيرة باقية على الوجود ,رغم بعض الحالات الشاذة من التشاجر التى حصلت لبعضها مع أخرَى .وهذا العصر يشمل الخلافة الأموية فى هسبانيا ,والفاطمية فى مصر, والعباسية فى بغداد ,إلا أنّه فى الحالة الأخيرة سرعان ما تضاء ل التأثير العربى فى مقابل تأثيرات الشعوب الأخرى .ولكن رغم كل هذه التقسيمات الداخلية ,فإنّ النزعة العروبية بمجموعها ظلت نشيطة واستمرت كقوة توسيعية إلى حوالى سنة ألف من الميلاد(٥٢)

ثم تكلم المؤلف عن التغيرات التى حدثت فى الشرق الأدنى بعد الفتوحات الإسلامية ,فذكر منها تطورات إيجابية و أخرى سلبية ,وكان مما ذكر :

☆ اعتبر المؤلف ابن خلدون(١٤٠٦-٢٣٣١)أول مؤرخ سياسى واجتماعى من المسلمين, تناول مشكلة التوسعات العربية بالتفصيل .واستنتج من دراسة ابن خلدون لهذه الأوضاع أنّ رُقى الدول ,وانهيارها عنده ,وكذلك القوات الجماعية ,كان مرتبطا بقوة العصبية وضعفها .وكانت هى المعروفة بعصبية قريش التى وحّدتهم وراء محمد ذات مرة ,فتمكن من تأسيس الدولة الإسلامية, وتطوّرها ,وفتوحاتها الهائلة .ويرى المؤلف أنّ هذا التعبير من ابن خلدون كان تعبيرا واقعيا و علمانيا.

☆ ويرى المؤلف أنّ التوسعات العربية طوال الشرق الأدني دمّرت إحدى الإمبراطوريات العظيمة بأسرها و أبادت أخرى بأكملها .

☆ و أنّ المسلمين أدّوا بالإمبراطورية البيزنطية إلى وضع دفاعي ,نتجت أخيرا بانهيارها.

☆ و أنّ العرب عصفوا الزرادَشتية ــ الديانة الضعيفة ــ بهجمة مميتة .

☆ و أنّ المسيحية أيضا فقدت قوتها في آسيا ــ مولدها و منشأها ــ بقدوم العرب و الإسلام ,و أصبحت أقلية مثل الزرادشتية ,وتعرضت لحالات سيئة من الفرقة والشقاق والتدهور.

☆ وأنّ حيوية الإسلام الشابّ ــ ليست فتوحاته و ورسالته فحسب ,بل و تقييمه الفكرى الداخلي ــ اصطحبت شلل الديانات التي حلّ محلّها الإسلام في الشرق الأدني.

☆ ومن الواقع الثابت أنّ المسلمين الأجانب من غير العرب كانوا هم المسؤولين للثورة الدينية الإسلامية ــ ,وخاصةمن الناحية الفكرية ,والخلقية ,والشرعية ــ ,وأما العرب فلهم الفضل فقط في العمل على حصول الفتوحات جسديا .ومن ناحية أخرى ففضل تحسين دين محمد و صبغته بالحداثة

والتقدم يرجع إلى حاملى العلوم الإغريقية والعلوم الشرقية ,وهذا الرأى غير قابل للنقاش .وذلك على الرغم من الاعتراف بأنّ للعرب دورا كبيرا فى نشر العقيدة ,وفتوحات صدرالإسلام ,وتطورات أخرى كثيرة ,إلا أنّ كل شعب لا بدّ وأن يُعترف بدوره الذى لعبه فى هذه المسيرة . (٥٣)

ويجدربنا ختاما لهذا الملخص ترجمة الاقتباس الأخير من هذا الكتاب لكى نعرف فحوى ما ترمى إليه دراسة المؤلف لسيرة نبينا صلّى الله عليه وسلم و دينه ,قال المؤلف:

"إننا قد بقينا إلى الآن مع مغايراتٍ حقيقية بين قوة العرب و حضارتهم فى الماضى المتألق المجيد ,وبين حاضرهم الرث المرهق بألمهم الإقتصادى ,ومظالمهم القومية العقيمة ــ سواء أكانت هذه الحقيقة تسبب لنا الانبساط أو الكآبة حسب رأينا ووجهة نظرنا ــ .لا يظهر عليهم أنهم أحسنوا استعمال استقلالهم الذى ظفروا به .كان الجدير بهم فى آخر الأمر بعد إدراكهم بأنه ليس لهم حظ فى حصول أمنيتهم لإعادة قوتهم القديمة ,أن يحاولوا فى تنشيط ماضيهم بطريقة ممكنة ومناسبة .وذلك بطرق سلمية ــ ثقافية وحضارية .أما فى وضعهم الحالى فيبقى هذا الأمر مجرد امنية ,لا علاقة له بالحقيقة .ويصدق على نصيبهم من هذه الناحية شعار فاوست Faust)(٥٤) حيث قال"Weh dir, dass du ein Enkel bist" :(فويل لك ,العجب أنك أنت حفيده) . (٥٥)

ح- منهج المؤلف فى عرض المادة

نبدأ بيان منهجه باقتباس من ناشر كتابه حيث قال" :قد قام الأستاذ جابرييلى بدراسة هذه العناصر كلها ليأتى بتقييم من عنده فى ضوء مناهج البحث الحديثة (٥٦)

وقد حاولنا تعيين ملامح منهج المؤلف فى هذا الكتاب و وصفها بطريقة تحليلية و نقدية فوجدناها كما يلى:

١) تبويب النص : قد قسم المؤلف كتابه فى قسمين رئيسين ,ثم أدرج تحت كل قسم أبوابا و تحت كل باب مباحث مع عناوين مستقلة تدلّ بوضوح على مضمون ما يأتى تحت كل عنوان .ولقد ذكرنا العناوين الرئيسة فى خطة الكتاب ,والعناوين الفرعية مع مضامينها تحت عنوان ":عرض موضوعى لمضمون الكتاب."

لا شك أنّ هذا التقسيم والتبويب من محاسن تأليفه ,وتدوينه ,إلا أنّ ثمة خلل قد وقع فى ذلك ,إذ فات المؤلفَ أن يشير إلى خطته فى أول كتابه كما هو معهود فى مناهج البحث الحديثة ,ويتمثل هذا الخلل أولا فى أنه لم يذكر تقسيم كتابه إلى قسمين رئيسين ,ولم نشعر بهذا التقسيم إلا عند انتهائنا من قراء ة الباب الخامس ,فوجدنا الفقرة الأخيرة منه كما يلى:

"هذا الرسم الموجز لتاريخ الجالية المسلمة ,لا يتجاوز كونه محاولة لوصف شكل أساسى من تغيرات داخلية مرت بها الدولة الإسلامية فى مائة وعشرين عاما بعد وفاة نبيّها و مؤسسها .وعلى كل حال فإنّ الإنجاز الأكثر لفتا للإنتباه فى أعمال محمد فى حياته ,حسب أعراف التاريخ العالمى ,هو توسعها فى الفتوحات التى يتشكل منها موضوع الأبواب القادمة(٥٧)

وهو يتمثل ثانية فى أنّ المؤلف عقد للكتاب أبوابا ,ووضع تحت كل باب فصولا أو مباحث, ولكن لم يشر إلى ذلك أيضا ,كما لم يذكر من قبل تقسيم الكتاب إلى قسمين ,وأول ما يهتدى القارء إلى أنّ هذه العناوين و الأرقام التى يجدها على رؤوس بعض الصفحات من الكتاب هى أبوابها ,فهو أيضا عند الفقرة التى ذكرنا ها آنفا من آخر الباب الخامس من الكتاب ,حيث قال المؤلف" :توسعها فى الفتوحات التى يتشكل منها موضوع الأبواب القادمة(٥٨) وكذلك الحال مع العناوين الفرعية التى اجتهدنا فى تسميتها مباحث بدون أن يدلنا المؤلف أو الناشر على ذلك.

والخلل الثالث فى تبويب الكتاب يتمثل فى أنّ المؤلف لم يضع العنوان عند بداية الباب الأول ,خلافا للأبواب التالية كلها ,حيث وضع لها أرقاما وعناوين ,وذلك على الرغم من أنّه بنفسه وضع له الرقم والعنوان فى فهرس المحتويات ,والعنوان مع الرقم هناك.1": محمد فى التاريخ ."

٢) أسلوب العرض: أسلوب المؤلف فى عرض المادة تحليلى ,نقدى ,إذ لا يكتفي بسرد القصص التاريخية ,ونقل الوقائع نقلا محضا ,كما هو دأب كثير من المؤلفين ,ولعل ذلك هو الذى سماه الناشر "دراسة ...فى ضوء مناهج البحث الحديثة "كما نقلنا عنه قبل قليل .ونأخذ على سبيل المثال عرض مكانة النبى صلى الله عليه وسلم فى ضوء التاريخ ,فقلما نجده ينقل الوقائع التاريخية ,بل يكتفي فى كثير من الأحيان بتقارير تحليلية حول مكانته عليه السلام لدى المسلمين ,من دون أى نُقول.

من حسن هذا الأسلوب أنه يعين على إبلاغ الرسالة التى يقصدها المؤلف بأسرع ما يمكن, إلاّ أنّ هناك دائما ثغرات فى العمل الإنسانى ,فنلاحظ هنا أيضا أمورا منهجية تحتاج إلى إعادة نظر,أو تصحيح ,نلخصها فيما يلى:

يبدو أنّ الأستاذ جابرييلى لا يهتم كثيرا بالنصوص الأصلية التى يناقشها أو يعلّق عليها ,فإنّ التعليق بدون عرض قدر مناسب من النص ,يعدّ عيبا منهجيا فى الكتابات العلمية ,إلاّ يكون المخاطبون به علماء محنّكون فتكونَ النصوص مستحضرة لديهم بدون عرض ,وليس الأمر كذلك فى قضية الأستاذ جابرييلى .وفيما يلى إشارات سريعة إلى أسلوب عرضه للنصوص فى هذا الكتاب:

لا يشير إلى النص أصلا ,ويعلّق عليه فى الهواء كوِجهة نظر معروفة .مثال ذلك قوله فى الباب الأول " :إنّ واقع بشرية محمد ــ الذى صرّح به شخصيا ــ لَقائم على تبعيته المادية و المعنوية ,ورغم كونه مرتبطا بـأعظم الرسالات ,فلا يمكن القول بأنّ بشريته اختفت تماما ,حتى فى الصورة التى ارتسمها الإسلام التقليدى لمؤسسه .إلا أنه إلى جانب هذا الاعتراف الجوهرى ,تطوّر تعظيم النبى إلى أعلى ما يمكن من الدرجات من كل ناحية ,سواء أ وُجد له أساسٌ فى القرآن نفسه ,أم كان فى معظم الأحيان مجلوبا من حسن اعتقادهم فى نبيهم ,وهذا ما يحيط دائما بهذا الكائن البشرى ,مضافا بأحداث خارقة للطبيعة أوميزات أو صلاحيات من هذا القبيل.(٥٩)

يشير إلى النص ولكن لا يعرض لفظه أو ترجمته ,ثم يؤوله كيفما شاء .ومثال ذلك فى الباب الأول أيضا حيث أراد ردّ عقيدة عصمة الأنبياء ,وخاصة عصمة نبى الإسلام صلّى الله عليه وسلم فقال " :قد اعترف محمد شخصيا بعدم عصمته البشرية ,وحتى أنّ هناك سورة فى القرآن(٨٠) التى عاتبه الله فيها ,لأنه ردّ بخشونة رجلا فقيرا أعمى ,جاء ليسأله شرح أمر دينى ,فى الوقت الذى كان يحاول أن ينال حظا من كبار مكة ورؤسائها .ولكن هذا الاعتراف أيضا أصبح ضئيلا بمرور الوقت فى مواجهة العصمة النبوية الممنوحة من قبل الله لجميع الأنبياء و خاصة لخاتمهم محمد(٦٠)

يعرض النص فى حالات نادرة ولكن يرسم له سياقا يخدم الداء الاستشراقى المتمثل فى التشكيك وتشويه الصورة .ومثال ذلك ذكر أحوال النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ,والتى يعتبرها المسلمون تدبيرا إلهيا لمنع التدخلات المادية فى حفظ القرآن الكريم والدين القويم الذى أكمله الله على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم .ولقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بقول الله تعالى :إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر9 :15) ,وقوله عز وجل :إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(فصلت٤٢،٤١: ٤١).

ولكن المؤلف فى الباب الثالث من الكتاب":محمد فى مكة "تكلّم عن رعاية جده عبدالمطلب له ,ثم عمه أبى طالب من بعده ,ثم قال " :ورغم هذا ,فإنّ كآبة يُتم الطفولة و الشباب ظلت محيطة بمحمد فى سنواته الأولى ,مازال تسجيله العاطفى باقيا فى آيات الفترة المبكرة من القرآن (الضحى٨-٦:٩٣) وهى" :أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى. ," ثم علق المؤلف على ذلك فقال " :وهذه الكلمات الموثوقة القليلة تعطينا صورة أكثرحقيقية لشباب النبى الكئيب مقارنة بأية زخرفة تقديسية لها(٦١) ففى مثل هذه الحالات يظل التعليق على مواقف معينة مجرد رأى ,ولا يكون من مناهج البحث الحديثة فى شيء ,وهذا هو ما حدث مع مؤلفنا فى معظم تحليلاته.

والشيء الثانى الذى يلفت الإنتباه عند الكلام حول أسلوب عرضه ,هو المغايرة الواضحة بين العنوان والمضمون المندرج تحته .ولنأخذ على سبيل عنوان الباب الأول" :محمد فى التاريخ ,"فالذى يتبادر إلى الذهن بمجرد سماع العنوان أنّ المؤلف سوف يتكلم فيه عن الوقائع التاريخية فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم .فعلم التاريخ كما عُرّف فى قاموس أكسفورد ,هو History: The study of : past events, esp. the political, social and economic development of a country or a nation.(التاريخ :هو دراسة الوقائع الماضية ,وخاصة المتعلقة بالتطور الساسى, والاجتماعى ,والاقتصادى لدولة ما أو شعب ما)(٦٢) ومثل ذلك ما ذكره حاجى خليفة الجلبى فى كشف الظنون(٦٣) فالتاريخ أصلا يطلق على دراسة الوقائع دون الحقائق إلا ما التصق بها تبعا .ولكننا عندما نرى مؤلفنا فى هذا الباب نجده يقدم تقريرا تحليليا حول صورة نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم كما يراها المسلمون ,وغير المسلمين ,وخاصة المسيحيون فى عصور مختلفة .

٣) أسلوب التحليل: قلنا فيما سبق أنّ أسلوب عرضه للنص تحليلى غير سردى ,إلاّ أننى أشكّ فى التزامه بالمنهج العلمى ــ إذا قلنا أنّ المنهج الحديث عبارة عن وصف الأمور كما هى ــ بل و يغلبه فكر مسبق ,رسمه فى ذهنه ثم ساق له الأدلة فجسّده بقلمه .وفيما يلى بعض الحقائق :

إنّ أسلوب المؤلف فى تحليل شخصية النبى صلى الله عليه وسلم يوحى بالانحياز والمَيل, فإنه أول ما بدأ بوصفه عليه السلام ,كان أن أبدى حيرته فى إدراك شخصيته ,لأنه فى نظره محاط

بالإفراط والتبجيل المبالغ فيهما ,فقال" :إنّ شخصية النبى العربى ,رغم إمكان القول ــ ليس بمعنى الكلمة ــ بأنه يقف فى كامل ضوء التاريخ ,فإنّ إدراك شخصيته وتقييمها تاريخيا ,لأشدُّ صعوبة من شخصيتَى مؤسسَينِ عظيمَين لديانتين :بوذا والمسيح .إذ إن برزخا من العواطف والأوصاف الخرافية يحول بين حقيقتهما و بين حُكمنا فيهما ,أما إذا جئنا للحُكم فى محمد فإنّ هذا الحائل يُصبح ضِعفين مما كان دونهما ,ضِعف يحتوى على عواطف المسلمين الخرافية فى شأن نبيهم ,والآخر يقوم على مبالغتهم فى تصوير قوته الخارقة للعادة(٦٤)فأين هذا الأسلوب من المنهجية والعلمية ,حيث يكون تعيين النتيجة قبل البدأ فى البحث .ثم إنّ المؤلف كيف يكون صادقا فى تعليقه ,إذ لا يخفى على كل صغير و كبير ممن له إلمام بالتاريخ و السير أنه ليس فى العالم أجمع قائد سجلت تفاصيل حياته أكثر و أدقّ مما سجل لمحمد صلى الله عليه وسلم .

لخص المؤلف ما فهمه من تقييم الناس له عليه السلام فى عصور مختلفة ,واكتفى بذكر تقييم المسلمين ,واعترض عليهم بأنهم يحسبونه المثل الأعلى ,واستمر جاهدا يحاول إثبات البشرية العادية فى النبى صلى الله عليه وسلم ,فنقد فى سبيل ذلك المعجزات ,العقيدة العصمة ,واجتماع جميع أنواع الخلق الكريمة فى شخصه صلى الله عليه وسلم .(٦٥)

ذكر بعض معجزات النبى صلى الله عليه وسلم مثل تلهف الأشجار له ,وكلام الحيوان فى حضرته بلغة الإنسان و شق القمر وغير ذلك ,فحاول إثباتها كشىء لا تؤيده الحقيقة التاريخية ,فقال ": وهناك رواية أكثر تاريخيا ,تحفظ ــ حول موضوع المعجزات ــ ذكرَى رفض محمد لكل من يطالبه بإتيان نوادر فوق الطبيعة مثل هذه ,وكذلك إشارته بنفسه إلى أن القرآن هى معجزته الأكثر ثقة ,إلا أنّ العقيدة المعروفة الرائجة لا تعتبر أى تردد من هذا النوع فى النسبة إليه أفعالا خارقة لقانون الفطرة ,مما يجعله فوق رتبة البشرية العادية ,وتسمى هذه الأفعال فى الديانة الإسلامية أفعالا خارقة للعادة بإذن الله .".....إلا أنه بحثا عن شخص البشرية المحمدية ,وصل إلى أن القرآن من حيث كونه معجزة تحدت البشرية كلها بإتيان سورة من مثله ,و كونه كلام الله المنزل قد قلل من دور محمد فى إنتاج هذا النص المعجز غير إبلاغ فنى فحسب (٦٦)

وكان من نقده للمعجزات النبوية أن أول رحلة الإسراء و المعراج مثل دأب المستشرقين الآخرين فقال" :الإيمان برحلته الليلية المعجزة من مكة إلى بيت المقدس ,ومن هناك إلى السماوات ــ

وهى الرحلة التى ينبنى عليها كثير من العقائد الإسلامية عن اليوم الآخر ـــ يعتمد على آيات قليلة من القرآن .وهى أصلا حكاية يمكن تأويلها كتعبير لرؤيا بدل تسميتها رحلة مع الروح والجسد(٦٧)

ولم يطمئن قلب المؤلف بهذا التحليل فى إثبات ذات النبى صلى الله عليه وسلم بشرا عاديا يصيب ويخطء ,فتجاوز ذلك إلى نفى العصمة عنه عليه السلام ,وبدأ كلامه بالإشارة إلى قصة عبدالله بن أم مكتوم الذى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديه فى أمر بدا له من أمور دينه ,وقد وردت القصة فى سورة عبس ,قال المؤلف" :قد اعترف محمد بعدم عصمته بنفسه ,وحتى ورد ذلك فى الكلام المنزل فى سورة ....ثم قال محللا القصة " :إلا أنّ هذه الحقيقة تضاء لت شيئا فشيئا أمام الاعتقاد بأن الأنبياء كلهم معصومون عن الأخطاء والزلّات بعصمة من الله ,ويتمتع محمد بهذه العصمة على وجه الخصوص(٦٨)

ثم أتى المؤلف إلى القيم الخلقية التى يعتقدها فيه المسلمون بإرشاد من القرآن الكريم و شهادة من كتب السيرة والسنة ,والتى اعترف بها عدد كبير من الستشرقين ,فعبّر عنها بقوله " :وقد ظهرت صفة شخصيته فى الروايات المتأخرة والمعتقدات بأنه شخص يتحلّى بجميع القيم الأخلاقية من الصدق ,والأمانة ,والرحمة ,ومساعدة الفقراء والمساكين ,"...ثم ما لبث أن تغلبته نوبة المثالية المحمدية فقال " :ولكن هذا النموذج من الفضيلة ,المُلمّع بزيت مقدس من العظمة النبوية ,لم يحظ بامتياز فى الحياة بعد المماة ,إذ احتلت مكانه قوة الشفاعة عندالله ,لأنّ ذات النبى تتمتع بصلاحية شفاعة المؤمنين(٦٩)

ومصوّرا اعتقاد المسلمين فى حق نبيهم فى الفترة المتأخرة قال المؤلف":وانطلاقا من هذه الرتبة الممتازة كرجل فوق العادة التى ينسبها المسلمون التقليديون إلى محمد ,تتطور فكرة أكثر قداسة فى حقه لدى مسلمى العصور المتأخرة ,والتى أوصلت بتصور نبوته إلى ذروة الإرتفاع ,وجعلت منه وجودا ميتافيزيقيا(ماورائيا ,غيبيا ,(و سرّىَ الخلق ,أو كائنا من نوع اللوجوس(Logos) الموجود إلى أبد الدهر فى الذاكرة الإلهية ,"ومثل لذلك بكتاب ابن العربى" :الحقيقة المحمدية "الذى اعتبره المؤلف فى زعمه قوة حاكمة لهذا الكون من حيث كونه منبثقا من الألوهية العظمى ."ثم قال " : وبذلك فإنّ ذكرى الشخصية التاريخية حيث كونه تاجرا مكّيّا ,ورئيسيا بارعا حقيقيا لدولة المدينة فقدت فى مضاربات الشخصية الخيالية الأجنبية لنفسه تماما .هذا من ناحية ,ومن ناحية أخرى فإنّ

هذه الفكرة تتجسد فى معتقدات أشد سذاجة من المعتقدات المعروفة(٧٠)

ثم يأتى المؤلف إلى ذكر ما سمّاه الأخير من الحواجزالسميكة ,التى ظلّت حارسة على النبى من تمثيله الإشراكى مع الله ,هو التوحيد الخالص ,فإنّ ذلك هوالمقام الذى لم ينفذ إليه التأمل الدقيق و لاالمعتقدات الخرافية الشديدة .ولكن ما دون هذا الحاجز الأخير ,ظلّت عمليةُ مثاليةِ هذا الرجل مستمرة ,فى مجتمعه ,إلى أعلى ما يمكن الحدود المتقدمة(٧١)

وكذلك كانت خلاصة ما استنتجه من الفتوحات الإسلامية فى قوله " :ويمكن تلخيصها فى: الحاجة إلى المطعم ,والمرعى ,والغنيمة ــ حاجات تستمر مدى الحياة التى لطالما كانت تنخس البدو لترك شدائد حياتهم ,بحثا عن دار فى مكان أفضل من صحرائهم ,ومحاولة لفتح أكبرِ قدرٍ ممكن من الأراضى الخصبة ,والتمكن منها ,لأجل إنتاج غلة أجود لأنفسهم و لماشيتهم .ويرتبط هذا الباعث الإقتصادى ارتباطا وثيقا مع مشكلة المناخ لديهم(٧٢)

هكذا كان تحليل المؤلف لوجهة نظر المسلمين فى حق نبيهم صلى الله عليه وسلم ,ثم تحليل فتوحاتهم ــ معظمه هجوم شرس ونقد لاذع ــ .

ثم بعد ذلك قفز المؤلف قفزة حتى وصل إلى موقف المسيحية فى العصور الوسطى,تاركا وراء ه عداء المشركين له ,و و جهات النظر العالمية قبل العصور الوسطى ,فتغيرت لهجته تماما ,وكان فى أسلوب بحثه و عرضه وبين المنهج العلمى بون بعيد ,سواء أكان هذا المنهج قديما أو حديثا. ويكفى شهادة على ذلك أنه نسج من عنده أو استقى من أمثاله وجهة نظر قائلة بأنّ المسيحية هى التى لعبت دورا كبيرا فى إنتاج نبوة محمد ــ والعياذ بالله ــ ولكنه لم يستقم عليها و أسس لنفسه دينا جديدا, فكان مما أثار غضب مسيحيى العصور الوسطى ,إذ توارثوا هذه الفكرة من أسلافهم من الجزيرة العربية ,"ثم لم يلبث إلا أن أيد هذه الفكرة بقوله " :وهذه الفكرة تقوم على حقيقتها التاريخية الثابتة, الدور الذى لعبته المسيحية من دون شك فى تكوين عقيدة التوحيد التى يدعو إليها محمد ,و كذلك الصلات التى كان يتمتع بها هذا الشاب حتما مع الحلقة المسيحية فى الشام وفى الصحراء ,وهذا ما قدمت الأساطير الشرقية نفسها تفاصيل دقيقة عنها(٧٣)

ثم لخص القول فى بيان أسباب العداء المسيحى لمحمد صلى الله عليه وسلم فى العصور الوسطى بقوله ":إنّ بناء هذا الموقف يقوم على أساس نسبة الرسالة المحمدية إلى الأفكار الفاسدة

لماكر خبيث و بغيض ,ومرتد عن عقيدته ,المذكور أعلاه ,بحيرة الذى عرف فى بيزنطة وفيما بعد فى الغرب بـ"الصرج أو الصوفى ,"ولقد كان راهبا مسيحيا ,بل و مطرانا و رئيسة لأسقفية ,ولكن دفعه كرهه وضلاله إلى تمزيق قلب الكنيسة بشقاقه و اختلافه ,وليس محمد إلا آلة لحقده وثأره(٧٤)

ولقد ذكر اسم محمد بالأشكال التالية Muhammad, Mathomus, Mamutius, ":و , "Machometusوذكر اتهامات المستشرقين الموجهة إليه بأنه كان قد ربّى بعض الحيوانات والطيور التى كانت تكلمه و نسب إليه مرض الصراع ,والادعاء الكاذب بالنبوة ,والشهوانية الجنسية, وأمور أخرى لا علاقة لها بالحقيقة .ويرى المؤلف أنّ هذا العداء من قبل العالم المسيحى كان رد فعل مسيحى القرون الوسطى على تبجيل المسلمين لنبيهم .

وكذلك كان دأبه فى الكتاب كله ,ففى الباب الثانى "الجزيرة العربية قبل محمد "حاول إثبات تأثير الإغريق والروم فى تشكيل ثقافة القبائل و خلفيتهم التاريخية ,وفى الباب الثالث "محمد فى مكة "كان جُلّ تركيزه على إثبات الوضع البائس لنبى المستقبل ــ من يُتم ,وفقر ,وكآبة ـــ قبل البعثة ,و تصويره كمعارض لمجتمعه دينيا ,واجتماعيا ,وثقافيا بعدها (٧٥).و فى الباب الثالث"سلطانه على المدينة ,"العنوان نفسه يدل على وجهة نظر المؤلف عن انتقاله من مكة إلى المدينة ,وفى الباب الرابع"الإسلام والدولة العربية الإسلامية "يحتوى على كثير من هجمات على مواقف النبى صلى الله عليه وسلم ,غير أنّ هناك تعليقات يمكن أن تجذب أنظار المصلحين الذين يتتبعون مواقف معتدلة فى كتابات المستشرقين لكى يسجلوهم فى قائمة المنصفين ,وأعتقد أنه لا عيب فى محاولة التقريب بين الناس.

أما فى الأبواب التى بعدها فظل أسلوب المؤلف مهاجما والتحليل كما كان فى النقد واللوم, واستمر ذلك إلى آخر الكتاب ,إلاّ أنّ هذه الأبواب لا تتعلق بالسيرة النبوية مباشرة ,بل تتناول الأوضاع السياسية والفتوحات الإسلامية فى العصور الإسلامية المختلفة كما ذكرنا من قبل .وكانت خلاصة ذلك أنّ نبى الإسلام لم يأمر المسلمين بعده بنشر الدين أو فتح المناطق خارج الجزيرة العربية ,وأنّ الفتوحات بعده كانت بسبب التأويل الفاسد لبعض أوامره من قِبَلهم ,أو كان سببها طمع القواد المسلمين فى الغنائم و احتلال المناطق الخصبة ,وأنّ استقلال الإمبراطورية الإسلامية لم يدم طويلا, فسرعان ما نشبت خلافات بين المسلمين أنفسهم ,وأنّ المسلمين العرب لم يقدموا كثيرا من

الخدمات للشعب المسلم غير الحروب واحتلال الأراضى و الأوطان ,وأنّ معظم الإنجازات العلمية, والثقافية و الحضارية تمت على أيدى المسلمين الأجانب(كما سماهم المؤلف)(٧٦)ولكى نعى صورة أسلوب المؤلف الكامل فى تحليل الحقائق يجدر بنا النظر فى الاقتباس التالى ,وهو آخر كلام المؤلف فى هذا الكتاب :

"إننا قد بقينا إلى الآن مع مغايراتٍ حقيقية بين قوة العرب و حضارتهم فى الماضى المتألق المجيد ,وبين حاضرهم الرث المرهق بألمهم الإقتصادى ,ومظالمهم القومية العقيمة ــ سواء أكانت هذه الحقيقة تسبب لنا الانبساط أو الكآبة حسب رأينا ووجهة نظرنا ــ .لا يظهر عليهم أنهم أحسنوا استعمال استقلالهم الذى ظفروا به .كان الجدير بهم فى آخر الأمر بعد إدراكهم بأنه ليس لهم حظ فى حصول أمنيتهم لإعادة قوتهم القديمة ,أن يحاولوا فى تنشيط ماضيهم بطريقة ممكنة ومناسبة .وذلك بطرق سلمية ــ ثقافية وحضارية .أما فى وضعهم الحالى فيبقى هذا الأمر مجرد أمنية ,لا علاقة له بالحقيقة .ويصدق على نصيبهم من هذه الناحية شعار فاوستFaust)) حيث قال: "Weh dir, dass du ein Enkel bist"(فويل لك ,العجب أنك أنت حفيده).(٧٧)

٤) الترتيب الزمنى: من ميزات المؤلف المنهجية أنه راعى الترتيب الزمنى فى ذكر المراحل التاريخية من كتابه كما ذكرنا تحت عنوان "عرض موضوعى لمضمون الكتاب "إلا أنّ البابين الأول والثانى منه يحتاجان إلى تأويل ما لكى يندرجا تحت هذا العنوان .فالباب الأول كما ذكرنا رغم عنوانه " :محمد فى التاريخ ,"والثانى" :الجزيرة العربية قبل محمد "لا يدخلان تحت هذا العنوان إلا إذا حسبناهما تمهيدا للأبواب التى بعدهما .وذلك لأنّ التاريخ يبدأ من الباب الثالث بعنوان: "محمد فى مكة "ولو كنا قد أبدينا عليها ملاحظاتنا فى الصفحات الماضية .وأما إذا نظرنا إلى تسمى المؤلف إياه بالتاريخ فيلاحظ عليه أنّ المؤلف تناول فى بالبحث وجهة نظر المسلمين فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فى العصر الأول ...ثم قفز إلى هناك إلى مسيحية العصور الوسطى ,ولم يول اهتماما كافيا للعصور التى أو الفئات الأخرى من الناس غير المسلمين و المسيحيين كما هو واضح من عناوين المباحث الداخلية للباب.

٥) التواصل: من محاسن تأليف الأستاذ جابرييلى أنه يربط بين الأبواب بطريقة ملموسة حيث تكون الفقرة الأخيرة من كل باب عادة خلاصة له ,فى حين أنّ الفقرة الأولى من الباب التالى تتكون من إعادة ذكر المضمون الذى مضى فى الباب الذى قبله .ولنأخذ على سبيل المثال قوله فى آخر الباب الأول " :محمد فى التاريخ " :"فى تاريخ العالم ,إنه قائم بفضل الحركة التى بدأت على يده ,والتى مازالت نهايتها بعيدة عن الأنظار ,الحركة التى كان أثرها الأول أنها أنقذت العرب من حياتهم البائسة الغامضة التى كانوا يعيشونها كأبناء الصحراء ,وقد دفعت بهم إلى الأمام لكى يصنعوا من الفتوحات إمبراطورية و يغيّروا واجهة العالم(٧٨) وعندما نأتى إلى بداية الباب الثانى "الجزيرة العربية قبل محمد" نجده يبدأه بقوله " :ومن غير الممكن التعامل مع محمد و إنجازاته بدون معرفة مسبقة حول الأرض التى ولد فيها ,والناس الذين عاش بينهم ,والمجتمع والتقاليد التى أقام فيه ثورة جزئية أو غيّر جزء ا منها من جذوره ,فى حين أنه ثبّت جزء ا منها على حاله(٧٩) كذلك دأبه فى الربط بين جميع الأبواب, رغم ما أبدينا من ملاحظات حول مضمون كل باب.

٦) التسلسل والسلاسة: إنّ نصّ تأليفه متسلسل و سلس ,خال تماما من الهوامش والمراجع غير إشارات يسيرة جدا قد تأتى خلال مطالعة الكتاب ,وخاصة عند ذكر الآيات القرآنية.إلاّ أنّ حسن هذا الأسلوب وقبحه يعتمد على نوعية التأليف ومخاطبيه .فإذا كان الكتاب مشتلا على أمور توعية أو مواعظية فالسلاسة وعدم إثقال النص بحواش ومراجع أولى مع مراعاة ثقة المعلومات ,وأما إذا كان الكتاب دراسة علمية فلابد لذلك من مراجع و إحالات إلى مصادر المعلومات .فالسلاسة رغم كونها محببة ومرغوبا فيها إلا أنّ خلو هذا الكتاب من إحالات واقتباسات يقلل من درجة ثقته ويعد عيبا فيه ,لأنه عبارة عن دراسة معاكسة لعقيدة ,وقيادة ,ومواقف تختلف من وجهة نظر الدارس وبنى قومه .فيا ترى هل هناك منهج حديث للبحث قد أوصى بالتخلى عن الإحالات والإقتباسات فى مثل هذه الموضوعات ,ولم ندر به حتى الآن ,أم أنّ المؤلف فاته شيء منهجى مهم جعل دعواه فى اتباع المناهج الحديثة للبحث صدى فى الصحراء .

٧) أصالة المادة: رأينا فى ترجمة الأستاذ جابرييلى أنه كان مهمتاً باللغة العربية وآدابها. وكان كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها بجامعة روما ,ومدير معهد الدراسات الإسلامية بها .وأنه عُرف بدراسته للأدب العربى وتحقيقه فى التاريخ الإسلامى .وأنه انتخب عضواً مراسلاً فى المجمع

العلمى العربى بدمشق عام ١٩٤٨ وأنه حاز على جائزتين اعترافا لاسهاماته الكبيرة فى المعرفة حول العالم الإسلامى ونتيجة دراسته وتحقيقه للشعر العربى ,وما إلى ذلك من خدمات جليلة تُنسب إليه فى حق اللغة العربية وآدابها ,وكذلك فى حق الدراسات الإسلامية ,إلاّ أننا نجد هذا الكتاب لا يعتمد كثيرا على المادة الأصيلة ,ولا نجد فيه اقتباسات من كتب اللغة العربية و آدابها ,وكذلك كتب العلوم الإسلامية التى لا تعدّ ولا تحصى ,وتتوفر فى كل بلدان العالم ,وحتى لا نجد إحالات إلى الكتب الأصلية ,فيا ترى هل المناهج الحديثة تقضى بذلك أم أنّ هناك خللا فى علمية منهج صاحبنا ,والله أعلم بالسرائر.

٨) الاستعانة بالخرائط والصور: من صميم المناهج الحديثة للبحث العلمى الاستعانة بمواد إرشادية مثل الخرائط و الصور والرسوم ,والمخططات .ومن محاسن تأليف الأستاذ جابرييلى إيراد هذه الأشياء لتوضيح المطالب ,وسوف نحاول فيما يلى إلقاء نظرة تحليلية على المواد المعروضة فى هذا الكتاب من هذا القبيل:

الخرائط: أورد المؤلف خمس خرائط للاستعانة بها فى توضيح النصوص كما يلى:

أ- خريطة التقسيم العرقى :هكذا عنوان الخريطة فى الكتاب,وهى مُثبَتة فى الصفحة(٩ـ٨) من باب "محمد فى التاريخ "ولكن لم أر فيها مناسبة لهذا المكان إذ أنها تبدو خريطة سياسية أكثر من كونها عرقية أو قبلية ,لأنّها تحتوى على مناطق وشعوب فتحها المسلمون فى العصور القادمة ,مابين البحر الأحمر والمناطق الفرنكية شرقا غربا ,و جبال هندوكش و النيجرمن ناحية أخرى ,فلو وضعها لتوضيح الفتوحات الإسلامية لكان أجدر ,وكذلك مكانها بعد خريطة الجزيرة العربية القادم ذكرها. ولو وضع هنا خريطة تدل فعلا على التقسيم القبلى فى الجزيرة العربية لكان أولى وأنفع لفهم المقصود .

ب- الجزيرة العربية: وتوجد هذه الخريطة فى الكتاب فى الصفحة(٧٩) من باب"سلطانه على المدينة ,"وهى تبدو مناسبة فى مكانها ,إذ أنها تشمل مابين عمان و قبرص من ناحية و بين الإمبراطورية البيزنطية و خليج عدن من ناحية أخرى .وبذلك تكون تحيط بالمناطق التى قامت فيها الدولة الإسلامية فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين .

ت- خرائط الفتوحات: وهى ثلاث خرائط أولها"فتوحات أوائل القرن السابع"(الصفحة٨٩ـ٨٨) و "إفريقيا و أوروبا الغربية "(الصفحة١٧٩ـ١٦٨)و "التوسع فى العصر الأموى"(الصفحة١٩١،١٩٠)

فكلها فى محلها تقريبا.

الرسوم: قد أورد المؤلف أربعة رسوم تظهر فيها صورة النبى صلى الله عليه و سلم ,بيانها فيما يلى:

أولها: مأدبة من قبل الرهبان المسيحيين فى استقبال النبى صلى الله عليه وسلم وقافلته ,أثناء رحلته إلى الشام(٨٠) باب "محمد فى التاريخ ,تقييم مسيحية القرون الوسطى,الصفحة١٣. أورده المؤلف ليثبت العلاقة الوثيقة بين نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم ورجال الدين المسيحى ,فى سياق نقله لدعوى مسيحيى العصور الوسطى ,ثم المستشرقين بأنّ نبى الإسلام تعلم كل شىء من المسيين ,ثم ادعى لنفسه دينا جديدا.

ثانيها: صورة للسيد المسيح عليه السلام على ظهر الحمار و محمد صلى الله عليه وسلم على ظهر الجمل ,يركبان معا ,وفى الرسم نفسه صورة أخرى لمحمد صلى الله عليه وسلم معلقة على الجدار الباب الأول نفسه ,فى مبحث"إعادة تقييم محمد "الصفحة ,16أورده المؤلف ليثبت أنّ وجهة النظر المسيحية عن محمد صلى الله عليه تغيرت فى الأقات المتأخرة من العصور الوسطى ,فتنازل المسيحيون عن نظرتهم إليه بعيون القرون الوسطى و بدأوا يعترفون به كمؤسس لديانة جديدة مثل المسيح عليه السلام.

ثالثها: صورة مرسومة لمندوبى قبائل العرب يشتركون فى حمل الحجر الأسود إلى الكعبة فى رداء كبير ,كلهم يمسكون بأطرافه ,فى حين أنّ النبى صلى الله عليه وسلم يحمله لينصبه فى جدار الكعبة-الباب الثالث "محمد فى مكة "الصفحة٥٢،٥٣. ولعل الهدف من ذلك تصوير المسلمين للنبى صلى الله صادقا و أمينا و رجلا موثوقا فيه ,معتمدا عليه ,حتى فى زمن ما قبل البعثة .

رابعها: صورة مرسومة لمنظر المولد النبوى الشريف ,يظهرفيه شيخ كبير جالس على مقعد قريب من امرأة مضطجعة فى لحاف ,ومن جانب آخر امرأة عجوز تقف فى الناحية الثانية من البيت .وهناك صور ملَك ذو أجنحة ,وثلاث إماء واقفات على طرف ,فى حين أنّ أمرأة جالسة بالقرب من السيدة المضطجعة الباب الرابع"سلطانه فى المدينة , "المبحث"الهجمات المعاكسة من مكة "الصفحة ٧٤،٧٥.

خامسها: صورة مرسومة لنزول الوحى ,ويظهر فيها جبريل عليه السلام-الباب الرابع"سلطانه فى

المدينة ,"الصفحة ٨١)

سادسها: صورة مرسومة لما بعد غزوة أحد ,يظهر فيها شهداء أحد ,وبينهم حمزة رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ,وتبرز هند امرأة أبى سفيان مع نساء المشركين تلوك كبد سيد الشهداء(٨١) الباب السادس,تشكيل الإمبراطورية ,الصفحة ١١٧.

بعض هذه الرسوم مأخوذ من مخطوطات تركية ,غير معروفة المستوى العلمى ,ومن المعروف أنّ مستوى المراجع العلمية دائما معروف حسب موضوع البحث ومستواه ,وإثبات شيء يخالف المراجع الموثوقة مثل الكتاب والسنة ,والسيرة ,وكتب التاريخ الموثوق فيها لا يصح بمثل هذه الصور الخيالية .هذا بالإضافة إلى أنّ معظم هذه الرسوم مأخوذ من جامع التواريخ لمؤلفه رشيدالدين(٨٢) والمحفوظ فى مكتبة الجامعة بأدنبرا .وهى أصغر بكثير من أن تعدّ مرجعا لرأى أو تعليق على سيد الكون صلى الله عليه وسلم ,كما أوردها صاحب الكتاب ,إلاّ أنها خير دليل على مستوى منهجية المؤلف ,إذ لم يجد ما يخدم مطالبه إلا الرسوم الخيالية التى يكون قد رسمها رجل من العصور المتأخرة ,وهناك عبارات على جميع هذه الرسوم باللغة الفارسية تدل على أصلها الفارسى, وعنوان الكتاب Universal Historyترجمة "جامع التواريخ "(باللغة الفارسية,(ومؤلفه رشيدالدين الهمذانى الطبيب١٣١٨-١٢٤٧)مؤرخ العصر الإيلخانى المغولى ,وطبيبه .وكفى لتقييم الرسوم معيارا أنّ المؤلف من أصل يهودى ,و من ناحية مهنته طبيب ,ومن خلفية ثقافية فارسية ,ومن المعروف أنّ رسم التصورات,والتخيلات جزء من الثقافة الفارسية ,والأطباء أيضا يلجأون فى كثير من الأحيان إلى الرسوم والصور لشرح الأمراض والأدوية وما إلى ذلك من الأعمال التشريحية ,وكفى بالكتب الطبية شاهدة على ذلك.هذا ولو زدنا إلى ذلك خلفية المؤلف الدينية فيتضح الأمر أكثر ,والله أعلم .

الصور: وهناك صورة للكعبة المشرفة فى عصور مختلفة,و بعض المساجد ,وبعض اللوحات المكتوبة ,وبعض الأوانى ,لا أرى لتحليل عرضها هنا كبير أهمية ,إلا أن المؤلف اتخدمها لتأييد أفكار قدّمها ,أو حللها ,أو اختلقها من عنده .

٩) منهجه فى عرض المراجع :كما ذكرنا من قبل أنّ المؤلف رغم شهرته فى بنى قومه وديانته كعلاّمة للغة العربية و آدابها ,وخبير للدراسات الإسلامية ,وأستاذ لهما معا ,لم يوفق فى الإشارة إلى

مرجع عربى و إسلامى طوال تأليفه المحتوى على٢٥٣صفحة ,وكذلك كان فى عرض المراجع و المصادر ,فلم يعرض المؤلف مراجع أو مصادر معينة من التى اتفاد منها أثناء تأليف هذا الكتاب,بل وذكر قائمة من كتب للمستشرقين تحت عنوان كل باب من أبواب كتابه ,وقال فى بداية عرض المصادر ما يأتى":من بين كم هائل من الكتب حول العرب ,والمسلمين ,والفتوحات ,قد قمنا باختيار أهم المهم من الأعمال ,وخاصة ,الكتب التى توضح القضايا الجدلية المثيرة للخلاف أو التى تؤيد أفكار معينة معروضة فى نص الكتاب (٨٣) ثم ذكر عنوان كل باب وأدرج تحت كل عنوان قائمة من الكتب ,كلها للمستشرقين .والعجب فى ذلك أن المؤلف رغم دعواه باختيار المناهج الحديثة فعل هذا ,وفى ضوء ما كتبه أمثاله بنى كتابه كله رغم أنّ الكتب الإسلامية والعربية موجودة بقدر و كمية لا تحصى ,فيجب التنبة إلى ذلك.

١٠) الشكر والامتنان :شكر فيها المؤلف جميع القائمين على المعاهد و المتاحف التى أتاحت له فرصة اقتناء الصور والرسوم ,والخرائط ,وهذا أمر طبعا من صميم المناهج الحديثة أن تنسب الأشياء إلى أهلها ,إلا أنه قلما التزم بذلك فى معظم محتويات كتابه .(٨٤)

١١) الفهارس الفنية :رتبها ألفبائيا باللغة الإنجليزية ,ومعظم مداخلها تشمل أعلام بنى آدم, والأماكن ,والكتب ,وماشابه ذلك .وهو آخر ما فى هذا الكتاب .(٨٥)

١٢) تقييم علماء الغرب لعمل جابرييلى: كنا قد بدأنا فى بيان منهج جابرييلى بذكر كلمة الناشر الذى أعطى فكرة واضحة عن مضمون الكتاب و إشارة إلى منهج المؤلف فيه ,وبعد أن عرضنا تحليلا علميا لمنهجه من قِبَلنا فى ضوء نصوص الكتاب ومحتوياته ,نود أن نلقى نظرة عابرة على تقييم بعض علماء الغرب له لكى يكون أمامنا منهج المؤلف شرقيا وغربيا :أما شرقيا فهو بحثنا هذا ,وأما غربيا فمن ناحيتين ,رأى من له علاقة مباشرة بالكتاب ,وهو ناشره ,والرأى الثانى لرجلين من علماء الغرب .ولقد عرضنا رأى الناشر من قبل وفيما يلى رأى العالمين الغربيين:

رأى ريتشارد.و .بولييت: هذا الكتاب عبارة عن تأليف شعبى مزين بوفرة من الصور والرسوم ,مجلد بالكرتون ,ورغم بساطته فإنه لا يواجه أى نوع من عدم الترحيب .رغم أنّ عبارته موجزة ولكن واحدا وخمسين صفحة من مجموع مائتين وست وثلاثين قد خصصت للتزيينات(الصور والرسوم .(والكتاب يمتع المستفيدين من علم المؤلف وثقافته .وبالإضافة إلى ذلك فإنه يوفّر على

القارء الرومانتيكية التى عادة ما تصادف الكتب الشعبية حول العرب (وإذا كان هناك شيء فهو أنّ وصف الفتوحات موحش ,(وهو قدعالج الأمور بالمناقشات ,ومن ذلك ما فعله فى الباب الأول ,الذى يحتوى على آراء الأوروبيين حول محمد ,وهو شيء يكون فوق طاقة أى مؤلف شعبى عادى. والمصادر التى اختارها المؤلف بكمال من الحيطة أيضا ذات قيمة عظيمة .والحقيقة فإنّ هذا الكتاب جدير جدا بأن يعدَّ مادة للقراء ة الإضافية لدورات تمهيدية فى التاريخ الإسلامى.

ومع ذلك فإنّ الكتاب لا يسلم من سلبياته ,وحتى فى حدوده الغير طموحة التى نصبه لنفسه. الانطباع الذى يظهر من نص هذا الكتاب هو أنّه قد ربطت أجزاء ه بعضها مع البعض بتثبيت المسامير, بدل أن يكون مربوطا فكريا كجسد عضوى واحد .وخاصة فإنّ توافق الباب الأخير ضعيف جدا مع التى قبله .والمزيد على ذلك فإنّ اختيار عدد من الرسوم لم يكن موفقا بمناسبة عمل ألّف لتسليط الضوء على العرب وعلى الإمبراطورية التى صنعوها .إنّ ضريح .....فى بخارا ,الأوانى المزخرفة ذات ألوان متعددة من الرى من القرن الثالث عشر ,وقطعتان من العمل المعدنى المرصّع من العصر نفسه, فإنها جميعا من المهارات الفنية الفارسية ,إنها غير مناسبة تماما مع النص الذى قصد شرحه بوضعها. وعلى كل حال فإنّ هذه العيوب أيضا لا تنقص كثيرا من شأن ذلك العمل الذى برز ليكون العدد الوحيد الشامل حول الفتوحات بعد أن ظهر "The expansion of Saracens"(توسعات المسلمين) لمؤلفه بيكر(Becher)) فى"Cambridge Medieval History""(تاريخ كامبردج للعصور الوسطى ريتشارد و .بوليت من جامعة هارفارد (٨٦)

رأى ر.ب .سير جيانت :(R. B. Serjeant)إن كتابا شعبيا مثل الذى عُنِى أن يكون هذا الكتاب ,يجرّ حتما إلى كثير من المصادر الثانوية التى سبق وأن حل محلها مصادر أخرى ,ولكن كما أنّ عالما بارزا من رتبة الأستاذ جابرييلى لا يمكن أن يكون خبيرا فى كل ميدان ,فكذلك ,فإنّ مقالا من هذا النوع لا يكون حاويا للقيم المميزة إلاّ إذا كانت المصادر الثانوية نفسها ذات ميزة ,أو يكون المؤلف قد جسّد نتائج بحثه الشخصى ,أو تجاربه الخاصة .وهذه القاعدة تنطبق هنا تماما ,ولا يمكن القول بأنّ هذا الكتاب يعطى علامات من التفوق من بين عشرات التواليف التى ظهرت فى السنوات الماضية قريبا ,والتى تغطى هذا الموضوع نفسه غالبا.

و أما ما يتعلق بتحليل التاريخ الإسلامى من الخلافة الأموية إلى ما بعدها ,فى خطوطها

الواسعة ,رغم أنه غير ممتاز تقريبا ,ولكنه لا بأس به .إنّ الأستاذ جابرييلى لا بد وأن يؤخذ إلى المهمة الواجبة لقلة معرفته بنتائج البحث الحديثة لما يناقش المجتمع العربى قبل الإسلام و السيرة المحمدية, الجزء الذى يشكّل ثلث الكتاب .و لا يمكن الموافقة على الفقرة الافتتاحية التى تصف النبى العربى بالتأكيد والجزم بأنّ "إدراكه و تققيمه من ناحية الحقيقة التاريخية يساوى فى الصعوبة مع تقييم كل من بوذا والمسيح ."إنّ هذا الرأى لا يساوى شيئا أمام البحوث التى ظهرت حديثا حول النبى ,وخاصة مقالات "كيستر(Kister) ") و طبعة جونز (Jones)) لمغازى الواقدى .وقد أعطت فى الثانى صورة واضحة للنبى ــ بشرط أن يكون هناك من يعرف تقييم النصوص(٨٧) إنّه قد تم هنا إخفاء الصفةالحقيقية للنبى

خ- الملاحظات العامة

☆ الهدف من دراسته هو البحث عن السر الكامن وراء الفتوحات الإسلامية ,وليس الهدف منها معرفة السيرة النبوية أو حصول العلم.

☆ يعتمد على نصوص مفردة متقطعة لكى تخدم هدفه ولا يوردها فى سياقها,بل ونادرا ما يورد النصوص أصلا.

☆ يضع النصوص فى غير موضعها، ويحمّلها مالا تطيقه ألفاظها ولا يستمد من معانيها ,و يجتهد فى إثارة الشكوك.

☆ يورد مقدمات جزئية ضعيفة ثم يبنى عليها نتائج ضخمة فضفاضة لا تناسب تلك المقدمات ولا تنتج منها .

☆ يغفل الحقائق التى تخالف استنتاجاته وتبطلها.

☆ يشوه صورة الإسلام، بالبحث المعمق فى المسائل الخلافية، وتقصّى المسترذل من الأخبار، والمستقبح من الروايات وعدها أساسا لبناء مغرض.

☆ إنه يعوّل على مصادر ليست فى مستوى البحث العلمى، بل وجلّ اعتماده على المصادر الثانوية,أو على كتب المستشرقين ,ومن المعلوم أنها لا تصلح مصادر للموضوعات الإسلامية، يمكن أن يُعتمد عليها فى الدراسات الأجنبية حول الإسلام.

د- نتائج البحث

☆ تقدّر أبحاث المستشرقين وكتبهم حول الإسلام، فى الفترة من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين، بنحو ستين ألف كتاب.

☆ من بين الموضوعات التى ألف فيها المستشرقون :تاريخ الإسلام، وعقائده، ومذاهبه، وفقهه، وسيرة نبيه ..الخ

☆ كان المستشرقون من ذوى أصول مختلفة و خلفيات ثقافية عديدة.

☆ اعتبر نجيب العقيقى المدرسة الإيطالية على رأس المدارس الاستشراقية.

☆ البابوات الإيطاليون هم الذين وَجّهوا إلى دراسة اللغة العربية.

☆ تعاونَ الكنيستان المارونية والكاثوليكية فى نشأة العمل الاستشراقى و تطوره.

☆ اهتمت الجامعات الإيطالية بالدراسات العربية والإسلامية بعد منتصف القرن الحادى عشر الميلادى بقليل.

☆ أوّل إيطالى تعلم اللغة العربية وعُنى بدراستها، قيل هو :جيرارد داكريمونا ١١٨٧-١١١٤م

☆ كان فيمن اهتم من الإيطاليين بكتابة السيرة النبوية الشريفة :الأمير ليونى كايتانى ,وليفى ديللافيدا ,وكارلو نللينو,وجويدى ميكلانجو، وجابرييلى فرانشيسكو ,وانساباتو انريكو وغيرهم.

☆ اسم مؤلف هذا الكتاب جابرييلى فرانشيسكو ,وقد ينطق ,فرانسيسكو غابريلى.

☆ كان جابرييلى كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها بجامعة روما ,ومدير معهد الدراسات الإسلامية بها .وعضواً مراسلاً فى المجمع العلمى العربى بدمشق.

☆ يَرى سمير القريوتى أنه اشتهر بمواقفه المعتدلة من التاريخ الإسلامى.

☆ يؤمن جابرييلى بالاستشراق ويدافع عنه ويرجو من المفكرين العرب أن يتبنوا الطرق المنهجية فى البحث العلمى.

☆ له حوالى عشرين كتابا حول الإسلام وتاريخه ,من بينها هذا الكتاب.

☆ حاز جابرييلى على جائزة بالزان للدراسات الشرقية ,وجائزة "جيورجيو ليوى ديلا فيدا.

☆ عنوان الكتاب باللغة الإيطالية Maometto e le grandi conquist e arabe

☆ بحثنا هذا يعتمد على الترجمة الإنجليزية بعنوان Muhammad and the Conquests : Of Islam,(محمد والفتوحات الإسلامية)

☆ موضوع الكتاب :شخص محمد صلى الله عليه وسلم ,والفتوحات الإسلامية.

☆ الهدف من تأليفه هو البحث عن سر الفتوحات المحيرة للعقول التى حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه .

☆ البحث مقسم إلى قسمين رئيسين ,يحتويان على اثنى عشر بابا.

☆ عناوين أبواب الكتاب" :محمد فى التاريخ" , "الجزيرة العربية قبل محمد" , "محمد فى مكة" , "سلطانه على المدينة" , "الإسلام والدولة العربية الإسلامية" , "تشكيل الإمبراطورية , " الفتوحات الشرقية :العراق و فارس , "الفتوحات الشمالية :سوريا و بلاد الرافدين وأرمينيا , " "الفتوحات الغربية :مصر ,وإفريقيا الشمالية" , "الإسلام فى أوروبا" , "الحدود إلى الشرق "و "إنجازات الإسلام العربى."

☆ فى آخر الكتاب قائمة بالمصادر والمراجع ,ثم "الشكر والامتنان ,"ثم "الفهارس الفنية."

☆ الكتاب مزيّن بالخرائط و الرسوم ,و من بين الخرائط"خريطة التقسيم العرقي للجزيرة العربية ," "الجزيرة العربية" , "فتوحات أوائل القرن السابع" , "إفريقيا و أوروبا الغربية "و "التوسع فى العصر الأموى."

☆ في الصفحة الخلفية لصفحة العنوان ملخص لموضوع الكتاب ومضمونه ,ومنهج المؤلف فيه .

☆ الكتاب يحوى عشرين صورة ملونة ,وعشرين أخرى من نوع أسود أبيض ,مع خمس خرائط ملونة.

☆ فى هذا البحث عرضنا ملخص موضوعات الكتاب عامة.

☆ ركزنا على بيان منهج المؤلف في الكتابة حول السيرة النبوية الشريفة و تحليله.

☆ منهج المؤلف في عرض المادة تحليلي ,سمّاه الناشر بتقييم من عنده في ضوء مناهج البحث الحديثة .

☆ من أهم ملامح منهجه" :تبويب النص "و عرضه بأسلوب تحليلي من دون الاهتمام بنقل النصوص أو الاقتباس منها.

☆ أسلوب تحليله متحيز فيه ميل و عصبية.

☆ لا يشير إلى النص ,ويعلّق عليه فى الهواء .

☆ يشير إلى النص أحيانا ولكن لا يعرض لفظه أو ترجمته ,ثم يؤوله كيفما شاء .

☆ يعرض النص فى حالات نادرة ولكن يرسم له سياقا يخدم الداء الاستشراقى المتمثل فى التشكيك وتشويه الصورة .

☆ هناك مغايرة واضحة بين عناوين الكتاب والمضامين المندرجة تحتها .

☆ انتقد المؤلف موقف المسلمين فى شأن نبيهم صلى الله عليه وسلم ,وسماه محاطا بعواطف المسلمين الخرافية فى شأنه ومبالغتهم فى تصوير قوته الخارقة للعادة.

☆ أحيانا يعطى المؤلف النتائج من ذهنه ثم يبدأ فى البحث فيها.

☆ المباحث المتعلقة بالسيرة النبوية فى هذا الكتاب تظهر منها محاولة البحث عن البشرية المحمدية الخالية من العواطف والمعجزات و عقيدة العصمة و اجتماع الأخلاق فيه من جميع الأنواع.

☆ انتقد بعض المعجزات على وجه الخصوص ,منها :حنين الأشجار إليه ,وكلام الحيوان فى حضرته بلغة الإنسان و شق القمر وغير ذلك ,فحاول إثباتها كشيء لا تؤيده الحقيقة التاريخية.

☆ قال عن رحلة الإسراء و المعراج" :الإيمان برحلته الليلية المعجزة من مكة إلى بيت المقدس, ومن هناك إلى السماوات ــ وهى الرحلة التى ينبنى عليها كثير من العقائد الإسلامية عن اليوم الآخر ـــ يعتمد على آيات قليلة من القرآن .وهى أصلا حكاية يمكن تأويلها كتعبير لرؤيا بدل تسميتها رحلة مع الروح والجسد."

☆ وأخذ قصة عبدالله بن أم مكتوم فى سورة عبس وتولى كدليل لعدم عصمته .

☆ سمى المؤلف تبجيل المسلمين للنبى صلى الله عليه وسلم بجعله وجودا ميتافيزيقيا(ماورائيا, غيبيا(و سرّىَ الخلق ,أو كائنا من نوع اللوجوس(Logos) الموجود إلى أبد الدهر فى الذاكرة الإلهية."

☆ كانت خلاصة ما استنتجه المؤلف من تبجيل المسلمين لنبيهم ,أنهم أوصلوه إلى درجة لم يبق بينه وبين الله إلا درجة واحدة ,وهى التوحيد الخالص .

☆ كانت خلاصة استنتاجه من الفتوحات الإسلامية أنّ هدفها كان :الحاجة إلى المطعم, والمرعى ,والغنيمة.

☆ بعد انتقاد المؤلف لموقف المسلمين من نبيهم ,قفز إلى موقف المسيحية فى العصور الوسطى,تاركا وراء ه عداء المشركين له ,و وِجهات النظر العالمية قبل العصور الوسطى.

☆ سبب عداء مسيحيى العصور الوسطى فى نظره :قولهم بأنّ محمدا تعلم المسيحية على أيدى بحيرى الراهب ,و ورقة بن نوفل و رجال الدين المسيحى فى الشام ,ثم انحرف عنها ,فأسس لنفسه دينا جديدا .

☆ ذكر اتهامات المستشرقين الموجهة إليه بأنه كان قد ربّى بعض الحيوانات والطيور التى كانت تكلمه و نسب إليه مرض الصراع ,والادعاء الكاذب بالنبوة ,والشهوانية الجنسية ,وأمور أخرى لا علاقة لها بالحقيقة .

☆ فى الباب الثانى من كتابه حاول المؤلف إثبات تأثير الإغريق والروم فى تشكيل ثقافة القبائل و خلفيتهم التاريخية.

☆ فى الباب الثالث "محمد فى مكة "كان جُلّ تركيزه على إثبات الوضع البائس لنبى المستقبل ــ من يُتم ,وفقر ,وكآبة ــ قبل البعثة ,و تصويره كمعارض لمجتمعه دينيا ,واجتماعيا ,وثقافيا بعدها.

☆ و عنوان الباب الثالث"سلطانه على المدينة "يدلّ على وجهة نظر المؤلف فى النبى صلى الله عليه وسلم.

☆ و الباب الرابع يحتوى على كثير من هجمات على مواقف النبى صلى الله عليه وسلم ,غير أنّ هناك تعليقات يمكن أن تسمى مواقف معتدلة.

☆ زعم المؤلف أنّ نبى الإسلام لم يأمر المسلمين بعده بنشر الدين أو فتح المناطق خارج الجزيرة العربية ,وأنّ الفتوحات بعده كانت بسبب التأويل الفاسد لبعض أوامره من قِبَلهم ,أو كان سببها طمع القواد المسلمين فى الغنائم و احتلال المناطق الخصبة.

☆ يرى المؤلف أنّ استقلال الإمبراطورية الإسلامية لم يدم طويلا.

☆ وأنّ المسلمين العرب لم يقدموا كثيرا من الخدمات للشعب المسلم غير الحروب واحتلال

الأراضى و الأوطان.

☆ وأنّ معظم الإنجازات العلمية ,والثقافية و الحضارية تمت على أيدى المسلمين الأجانب.

☆ سمى المؤلف انجازات المسلمين مغاياراتٍ حقيقية بين قوة العرب و حضارتهم فى الماضى المتألق المجيد ,وبين حاضرهم الرث المرهق بألمهم الإقتصادى.

☆ اقترح المؤلف على مسلمى العصر الحاضر أن يحاولوا فى تنشيط ماضيهم بطريقة ممكنة ومناسبة .وذلك بطرق سلمية ـ ثقافية وحضارية .

☆ وأنه يصدق على نصيبهم شعار فاوست حيث قال" :فويل لك ,العجب أنك أنت حفيده."

☆ من ميزات المؤلف المنهجية أنه راعى الترتيب الزمنى فى ذكر المراحل التاريخية.

☆ الباب الأول "محمد فى التاريخ ,"والثانى" :الجزيرة العربية قبل محمد "لا ينطبق عليهما الترتيب الزمنى.

☆ من محاسن تأليفه الربط بين الأبواب بطريقة ملموسة.

☆ نصّ تأليفه متسلسل و سلس ,إلاّ أنه خال من الهوامش والمراجع.

☆ عدم الإحالة إلى المراجع عيب فى تأليفه ,وكذلك الاعتماد على المراجع الثانوية الغربية دون الكتب العربية.

☆ تنقص تأليف جابرييلى أصالة المادة ,فكتابه كله نقل من المستشرقين ,رغم كونه مشهورا بمعرفة اللغة العربية و آدابها ,وكذلك حصوله على جائزتين لمهارته وخبرته فى العلوم العربية والإسلامية.

☆ استعان المؤلف لتوضيح كتابته بالخرائط والصور ,وهو من صميم المناهج الحديثة للبحث العلمى ,إلا أنّه أخطأ فى استعمال الخرائط ,والصور وأساء استعمال الرسوم.

☆ اعتبر الرسوم والصور مراجع لأفكار معينة ,وهذا ليس من مناهج البحث فى شىء .

☆ أنّ المؤلف رغم شهرته فى بنى قومه وديانته كعلاّمة للغة العربية و آدابها ,وخبير للدراسات الإسلامية ,لم يوفق فى الإشارة إلى مرجع عربى و إسلامى طوال تأليفه.

شكر المؤلف جميع القائمين على المعاهد والمتاحف التى أتاحت له فرصة اقتناء الصور والرسوم ,والخرائط.

☆ توجد فى آخر الكتاب فهارس فنية ,رتّبت ألفبائيا ,ومعظم محتوياتها تشمل أعلام بنى آدم, والأماكن ,والكتب ,وماشابه ذلك.

☆ سمى ريتشارد.و .بولييت هذا الكتاب بتأليف شعبى مزيّن بالصور والرسوم ,واعتره مفيدا للدارسين المبتدئين للتاريخ الإسلامى ,إلاّ أنه ذكر بعض السلبيات فيه.

☆ رأى ر.ب .سير جيانت أنّ هذا الكتاب يعتمد على المصادر الثانوية التى انتهت مدة صلاحيتها, وأنّ الأستاذ جابرييلى قليل المعرفة بنتائج البحث الحديثة ,وأنّ دعواه فى صعوبة تقييم محمد صلى الله عليه وسلم غير صحيحة ,وأنّ البحوث الحديثة أثبتت عكس ذلك.

☆ وَمن الملاحظات العامة على منهج المؤلف أن الهدف من دراسته البحث عن أسباب الفتوحات الإسلامية ,دون المعرفة أو حصول العلم.

☆ يعتمد المؤلف على نصوص مفردة متقطعة لكى تخدم هدفه ولا يوردها فى سياقها,بل ونادرا ما يورد النصوص أصلا.

☆ يضع النصوص فى غير موضعها، ويحمّلها مالا تطيقه ألفاظها ولا يستمد من معانيها ,و يجتهد فى إثارة الشكوك.

☆ يورد مقدمات جزئية ضعيفة ثم يبنى عليها نتائج ضخمة فضفاضة لا تناسب تلك المقدمات ولا تنتج منها .

☆ يغفل الحقائق التى تخالف استنتاجاته وتبطلها.

☆ يشوه صورة الإسلام، بالبحث المعمق فى المسائل الخلافية، وتقصّى المسترذل من الأخبار، والمستقبح من الروايات وعدها أساسا لبناء مغرض.

☆ إنه يعوّل على مصادر ليست فى مستوى البحث العلمى، بل وجلّ اعتماده على المصادر الثانوية,أو على كتب المستشرقين.

هذا ما وصلنا إليه والله من وراء القصد.

الهوامش

(١) عبد العظيم محمود الديب :لما ذا اهتم المستشرقون بالإسلام؟ ,مستفيدا من محمود محمد شاكر، فى رسالته بعنوان "فى الطريق إلى ثقافتن٧٥-٧٣،٥٧ و محمد قطب :مذاهب فكرية معاصرة٥٩٧ وبنت الشاطء :تراثنا فى الشرق والغرب، محاضرات مطبوعة على الآلة الناسخة ألقيت بمركز تحقيق التراث القومى ونشره، بالقاهرة عام١٩٦٧م، ص١٠-٧ و مبشرات الإسلام، عن مجلة الأمة القطرية الشهرية عدد ٢٤ص ٢٣

(٢) نجيب العقيقى فى كتابه المستشرقون، الجزء الأول

(٣) نقلا عن المستشرقون، لنجيب العقيقى،٤٠٥:١

(٤) نفسه،٤٢١/١،٤٢٦-٤٢٥، ٤٣٧،٤٤٣، ٤٥٤،٤٦٤-٤٦٣.

(٥) د .عبدالله بن إبراهيم العسكر ,أيام فى بولونيا

(٦) المستشرقون، لنجيب العقيقى،٤٣٠-١٢٩:١،٤٣٤-٤٣٢، ٤٤١-٤٤٠،٤٤٢-٤٤١، ٤٥٠-٤٤٧،٤٥٤-٤٥١،٤٦٠

(٧) محمد و الفتوحات الإسلامية (إنجليزى. ص٢٣٨

(٨) الدكتور مازن المطبقانى,الاستشراق ,ص٤٤الترجمة رقم ٥نقلا عن سمير القريوتى، "رحيل فرانشسكو جابرييلى "فى الشرق الأوسط ".ع٦٥٩٢، ٥شعبان١٤١٧(١٥ديسمبر١٩٩٦م

(9) http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=36888

(10) http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=36888

(١١) بحث ألقاه "غابريلى "فى مدرج جامعة دمشق وترجمه د .موسى الخورى، ونشره فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق.

(12) InterNetFrancesco Gabrieli (Italy 1983 Balzan Prize for Oriental Studies

(13) www.international.ucla.edu/cnes/publications/article.asp?parentid

(14) http://catalogue.nla.gov.au/Record/2493536

(١٥) www.answers.com/topic/muhammad, والصفحة التالية لصفحة العنوان من الكتاب.

(١٦) الصفحة الخلفية لصفحة العنوان من الكتاب

(١٧) ذكر المؤلف تقسيم الكتاب فى محمد والمفتوحات الإسلامية ,ص ١٠٢

(١٨) بلاد ما بين النهرين أو بلاد الرافدين ,بالإغريقية ، "ميسوپوتاميا"، بمعنى بلاد ما بين النهرين ,وهى تقع فى جنوب غرب آسيا .كانت من أولى المراكز الحضارية فى العالم .وهى تقع حالياً فى العراق ما بين نهرى دجلة والفرات .وأشهر حضاراتها هى سومر واكاد وبابل وأشور وكلدان والتى نشأت من العراق .ومع ازدهار الحضارات فى بلاد ما بين النهرين وفى اوقات متزامنه ومتعاقبة تم احتلال الاراضى المجاوره فأحتلت شرقاً اجزاء من إيران وتحديدا حضارة عيلام (حاليا محافظة خوزستان المعروفه باسم عرب ستان)/http://ar.wikipedia.org/wiki

(١٩) هى ترجمة الكلمة الإنجليزية port Ethnic melting قال منير البعلبكى فى معنى :Ethnic العرقى ,الوثنى ,وفى معنى melting- portبوتقة ,بودقة ,البلد البوتقة :بلاد ينصهر فيها المهاجرون (على اختلاف أعراقهم) فى مواطنية واحدة .منير البعلبكى ,المورد :قاموس إنكليزى عربى١٩٨٣ دارالعلم للملايين .بيروت .

(٢٠) هكذا ورد فى الصفحة الخلفية من الكتاب ,ولم أفهم المراد من الإسكندر هنا.

(٢١) الصفحة الخلفية لصفحة عنوان الكتاب.

(٢٢) محمد والفتوحات الإسلامية ,ص٢٥

(٢٣) محمد والفتوحات الإسلامية ,ص٣١

(٢٤) المرجع السابق ,ص٣٧

(٢٥) المرجع السابق ,ص٣٩

(٢٦) المرجع السابق ,ص٦٣ـ٤٥

(٢٧) المرجع السابق ,ص٦٤

(٢٨) المرجع السابق ,ص٧٠

(٢٩) المرجع السابق ,ص٨٢

(٣٠) المرجع السابق ,ص٨٥

(٣١) المرجع السابق ,ص٩٠

(٣٢) المرجع السابق ,ص٩٨

(٣٣) المرجع السابق ,ص١٠٢

(٣٤) المرجع السابق ,ص١٠٧-١٠٣

(٣٥) المرجع السابق ,ص١٠٤

(٣٦) المرجع السابق ,ص١٠٥

(٣٧) المرجع السابق ,ص١٠٧

(٣٨) المرجع السابق ,ص١١٣

(٣٩) المرجع السابق ,ص١١٨

(٤٠) المرجع السابق ,ص ١٢٦

(٤١) المرجع السابق ,ص ١٣٤

(٤٢) المرجع السابق ,ص ١٤٣

(٤٣) المرجع السابق ,ص ١٥٨

(٤٤) المرجع السابق ,ص ١٦٧

(٤٥) المرجع السابق ,ص ١٨٠

(٤٦) المرجع السابق ,ص ١٨٤

(٤٧) المرجع السابق ,ص ١٨٩

(٤٨) المرجع السابق ,ص ١١٩

(٤٩) المرجع السابق ,ص ٢٠٤

(٥٠) المرجع السابق ,ص ٢٠٩

(٥١) المرجع السابق ,ص ٢٤١-٤٢٤

(٥٢) المرجع السابق ,ص ٢٢٤

(٥٣) المرجع السابق ,ص ٢٢٨-٢٢٥

(٥٤) فاوست أو فاوستوس (باللاتينيةFaustus:) هو الشخصية الرئيسية فى الحكاية الألمانية الشعبية عن الساحر والخيميائى الألمانى الدكتور يوهان جورج فاوست الذى يُبرم عقداً مع الشيطان .وأصبحت هذه القصة أساساً لأعمال أدبية مختلفة لكتاب مختلفين حول العالم لعل أشهر هذه الأعمال هى مسرحية فاوست لغوته وعمل كريستوفر مارلو، كلاوس مان، توماس مان، كلايف باركر، تشارلز غونود، هيكتور بيرليوز، أريغو بويتو، أوسكار وايلد، تيرى براتشيت، ميخائيل بولغاكوف، فرناندو بيسوا ومن العرب على أحمد باكثير فى فاوست الجديد، كريم الصياد فى منهج تربوى مقترح لفاوست http://ar.wikipedia.org/wiki

(٥٥) محمد والفتوحات الإسلامية ,ص٢٤١

(٥٦) الصفحة الخلفية لصفحة عنوان الكتاب

(٥٧) محمد والفتوحات الإسلامية ,ص١٠٢

(٥٨) المرجع السابق نفسه

(٥٩) محمد والفتوحات الإسلامية ,ص٧

(٦٠) المرجع السابق ,ص١١–١٠

(٦١) المرجع السابق ,ص٤٦–٤٥

(62) Oxford Advanced Learner's Dictionary (History)

(٦٣) مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى القسطنطينى ,المعروف بحاجى خليفة ,كشف الظنون فى أسامى الكتب و الفنون١ ٢٧١: قال ,هو " :معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك.وموضوعه :أحوال الأشخاص الماضية من :الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء وغيرهم ,والغرض منه :الوقوف على الأحوال الماضية ."

(٦٤) محمد والفتوحات الإسلامية (النسخة الإنجليزية) ,ص٧

(٦٥) المرجع السابق ,ص١١–١٠

(٦٦) المرجع السابق ,ص١٠

(٦٧) المرجع السابق ,ص١٠

(٦٨) المرجع السابق ,ص١١-١٠

(٦٩) المرجع السابق ,ص١١

(٧٠) المرجع السابق ,ص١١

(٧١) المرجع السابق ,ص١١

(٧٢) المرجع السابق ,ص١٠٧

(٧٣) المرجع السابق ,ص١٢

(٧٤) المرجع السابق ,ص١٤

(٧٥) المرجع السابق ,ص٥١-٥٠

(٧٦) المرجع السابق ,ص ٢٢٨-٢٢٥

(٧٧) محمد والفتوحات الإسلامية ,ص٢٤١

(٧٨) المرجع السابق ,ص ٢٤

(٧٩) المرجع السابق ,ص ٢٥

(٨٠) رسم مأخوذ من منطوط تركى ,محفوظ فى مكتبة الجامعة ,بأدنبرا

(٨١) الصورة مأخوذة من مخطوطة تركية ,من متحف استانبول

(٨٢) أشارإليه المؤلف بأنه Universal History by Rashid-ud-Din,المحفوظ فى مكتبة جامعة أدنبرا ,ولقد بحثت عنه فوجدته رشيد الدين فضل الله الهمذانى ,صاحب جامع التواريخ ,وهو المعروف برشيد الدين طبيب،(١٣١٨-١٢٤٧) مؤرخ و طبيب فارسى من أصل يهودى وعالم اعتنق الإسلام وكتب فى تاريخ المغول كتاب جامع التواريخ باللغة الفارسية الذى يعتبر مصدراً هاماً فى علم التاريخ ووثيقة مهمة عن الإلخانات .وهو تاريخ فارسى مصور ,اعتبره المؤرخ موريس روسابى أهم شخصية فى بلاد فارس خلال حكم المغول ,ويهتم به المؤرخين و المستشرقون فى كل العالم .ويكيبيديا ,الموسوعة الحرة .

http://arz.wikipedia.org/wiki/,http://www.hurqalya.pwp.blueyonder.co.uk/BIBLIOGR

(٨٣) محمد والفتوحات الإسلامية ,ص٢٤٢

(٨٤) المرجع السابق نفسه ,ص٢٤٩

(٨٥) المرجع السابق نفسه ,ص ٣-٢٥١

(86) JSTOR: Speculum, Vol.44, No. 3 (July, 1969(p.461 محمل من
http//www.jstor.org/pss/2855516

(87) JSTOR: The Journalof Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, No.2 p.172, محمل من
http//www.jstor.org/pss/25203140?cookieSet+1, Reviewed work(s): Muhammad and the Conquests of Islam by Francesco Gabrieli; Virginia Luling; Rosamund Linell

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆